جامعة واسط
مجلة كلية التربية

العدد الحادي والأربعون
الجزء الثاني/تشرين الثاني/٢٠٢٠

نحو النَّصِّيَّة في دعاء السِّمات
قراءة تحليليَّة في ضوء خصائص نحو التّكوين النَّصِّيّ

أ.م.د. عِماد جبَّار كاظم داود
جامعة واسط . كُلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة
imadjabbar@uowasit.edu.iq

الملخَّص:

تجري النُّصوص على مبدأ توصيفها النَّحويّ ذلك الذي يتّخذ منه النَّصُّ نفسه سمةَ عليا في مقولة النَّصِّيَّة؛ بوصفها جامعة كُلِّيَّة لخصائصه التَّكوينيَّة، ومعاييره التَّحليليَّة في جدليَّة متضافرة من الإجراء، حين جعلت من نُظُمِها مبدأ احتواءٍ لأصوله، وأُسساً لمفاهيمه التَّعريفيَّة، ومنطلقاته الانشائيَّة والإرساليَّة والتَّواصليَّة.

و"دعاء السِّمات" شأنه شأن النُّصوص الدِّينيَّة العباديَّة التي تتَّخذ من الدُّعاء واقعاً، قوامُه افتراض سابق بالتَّصوُّر القبليّ يتجلَّى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة؛ الآية: ١٨٦]. وهذا، بلا ريبٍ، داع إلى قِيَم من أصول الحوار والتَّخاطب، وعلى سنن وآداب مقنَّنة بدستور التَّوجُّه والإجابة، ولو من جهة الدَّاعي فحسب، وفي ظنِّي اليسير أنَّ هذا يكفي في تمثيل ما في غايات نحو النَّصّ وأهدافه من توصيفٍ غرضُهُ النِّهائيّ في التَّكوين الاستمرارُ الدَّلاليّ والتَّواصل الإبلاغيّ، تلك المفاهيم التي يكشفها نحو النَّصِّيَّة ومعاييرها الإجرائيَّة.

[**الكلمات المفتاحية:** نحو النص، النصية، دعاء السمات، تحليل النص، معايير النص]

Towards the textualization in Dua As-Simat
An Analytical Study in light of the characteristics of textual composition

Asst. Prof. Dr. Emad Jabbar Kadhem Dawood
Wasit University - College of Education for Human Sciences

Summary:

The texts are based on the principle of their grammatical description, that of which the text itself takes a superior feature in the saying of the text. It can be described as a holistic combination for its formative characteristics and analytical standards in a concerted dialectic of procedure. This happens when it made its systems a principle of containment of its origins, and the basis for its definitional concepts, and its constructive, missionary and communicative principles.

Dua As-Simat is one of such devotional religious texts that has taken from the prayer its reality. It is based on a prior assumption and earlier perception that can be seen in the Quranic verse: { And when My servants ask you, [O Muhammad], concerning Me – indeed I am near. I respond to the invocation of the supplicant when he calls upon Me. So let them respond to Me [by obedience] and believe in Me that they may be [rightly] guided.} [Al-Baqarah; Verse: 186] .

Undoubtedly, this calls for the values of the principles of dialogue and discourse, and on the laws and etiquette codified in the constitution of direction and response, even if only on the one hand of the caller. The researcher thinks that this is sufficient to represent the goals towards the text and its objectives in describing its final purpose in the formation of continuity and semantic continuity .

Those concepts in the Dua expose towards textualism and its procedural standards.

[**Keywords**: grammar of the text, textuality, supplication, features (As-Simat), textual analysis, text criteria]

المقدِّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا سيِّد الخلق أجمعين محمد وآله الطيّبين الطَّاهرين. وبعد،... لا ريبَ في أنَّ الدُّعاء صورة من تجليّات النَّفس الإنسانيَّة، وهو تجلٍّ يُفصح بالضَّرورة عن مكنوناتها الذَّاتيَّة ومساحاتها العرفانيَّة، ويجسِّد تصرُّفاتها القبليَّة وتوقُّعاتها المستقبليَّة، إنَّه سبيلها الأوحد في الخطاب مع الإله اللطيف الخبير، بعد الإجازة منه سبحانه وتعالى بذلك، وليس من لذّة في الإقبال مثل الدُّعاء؛ إنَّه "مخّ العبادة"، وميعاد النَّفس مع المعشوق، إنَّه مدار الإيمان وأصوله، وعليه تشخيص السلوك وقيمه.

و"دعاء السِّمات" من الأدعية المأثور[١] عن أهل البيت "β"، التي تحمل من المعارف ما ينبغي ولوجها والنّفاذ إليها، والإفادة منها؛ تمثيلَ إنسانيتها، وابتغاءَ مثابتها.

ولأنَّ كلّ نفاذ إلى مدخل معرفيّ، والدُّعاء منه، بلا شكّ، يقتضي رؤية مؤطَّرة بمنهج، ولأنَّ الأخير يختلف مداه الإجرائيّ مِن قراءة لأخرى في الكشف والتَّثقيب، ناهيك بمرجعيّات البيان والتَّوصيف؛ لذا ارتأيت أن ألج هذا البحر المائج المقدَّس بمركبة نحو النَّصّ/النَّصِّيَّة، متّخذاً من شعارها معايير في تفعيل النَّشاط النَّصِّيّ نفسه، وذلك بإجراءٍ وتحليل لخصائصه التَّكوينيَّة وأنساقه الإرساليَّة.

وقد جعلت أصول هذا الرُّؤية اليسيرة على محورين، وخاتمة، ليكون المحور الأوَّل منهما، في مفهوم نحو النَّصّ/النَّصِّيَّة، وما في إشكاليّاته في الدَّرس اللِّسانيّ الحديث من تجليّات ونقد، وأمَّا المحور الثاني، ففي نحو الإجراء والممارسة وبحسب معايير التَّكوين، وأمَّا الخاتمة، فقد وضعتُ فيها أهمّ مخرجات النَّظر ونتائج القراءة. وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين.

المحور الأوَّل
في مفهوم نحويَّات النَّصّ/النَّصِّيَّة
تجليَّات ونقد

أفاقت اللِّسانيَّات النَّصِّيَّة على محوريَّة معالجة في التَّفسير والتَّحليل والفهم اللِّسانيّ حين أَكْبَرَ علماء الدَّرس النَّصِّيّ[٢] تحوُّلَ الفكر اللُّغويّ من النَّظر في دراساته للجملة بدعوى انعزالها "عن مواقف النُّصوص الاتصاليَّة... إلى اهتمام جديد بحدوث التَّجليّات الطبيعيَّة للغة، أي: بالنَّصّ TEXT..."[٣]. وهو تحوُّل يرصد فيه "دي بوجراند" دلالات ذوات أهمِّيَّة كبيرة، في ضوء نظريَّة الاتّصال وكبرى مسائل السِّيميائيَّة، بوصفها ـ أعني: التَّواصليَّة منها ـ الهدف من استعمال النَّصّ، الذي يمثّل محور النَّصِّيَّة، يقول: "دلالات هذا التّحوُّل في مجال البحث بالغة الأثر حقّاً. فنحن لا

نتحوّل عن استكشاف الأقصر إلى استكشاف الأطول من نماذج اللُّغة فحسب، وإنَّما نجعل الاهتمام أيضاً يتّجه إلى إجراءات الاستعمال UTILIZATION PROCESSES للغة الاتصال بدلاً من التَّركيز على الصّيغ المجرّدة في الذِّهن"(٤).

ولا ريبَ في أنَّه نقد يتوجَّه بالضّرورة ليس إلى مفهوم نحو الجملة فحسب، بل يشمل نحو النَّص، والمجرَّد منه خاصَّة، ولذلك أنكر "دي بوجراند" أن تكون خصوصيَّة النَّصّ ببنيته المجرَّدة ونظامه الافتراضيّ، من غير ملحظ مفهوم النَّصِّيَّة وإجراءاتها الاستعماليَّة، وذلك لأنَّ شؤون الأوَّل لا تعمل على نحو الإنتاجيَّة بقدر ما تعمل عليه مفاهيم النَّصِّيَّة. لافتاً إلى أنَّ مجال التَّوليد النَّصِّيّ لا يحيط به نظام افتراضيّ، وأنَّ ما استُبِعد من النَّصّ لمخالفته ليس بذي أهمِّيَّة، قال: "لا يمكن للسانيّات النَّصّ أن تعمل على تهيئة نحو تجريديّ لتوليد كلّ النُّصوص الممكنة في اللُّغة، واستبعاد كلّ ما ليس نصّاً non-text فمجال التَّوليد أوسع من أن يُحاط به، ويطرد اتّساعه على الدَّوام. إنَّ مفهوم ما ليس نصّاً ليس ذا خطر؛ لأنَّ وروده يؤدِّي في العادة إلى عدم قبوله، أو إلى عدم القدرة على الاتّصال، أمَّا العمل الأهمّ للسانيّات النَّصّ، فهو بالأحرى دراسة **مفهوم النَّصِّيَّة** TXTUALITY من حيثُ هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصاليَّة المتّخذة من أجل استعمال النَّصّ"(٥).

ومن هنا كانت قراءته لمفهوم النَّصِّيَّة، تؤكّد أمرين(٦): **الأوَّل**: وجوب النَّظر إلى الأمثلة التي تبدو أكثر مناسبة للعمليَّات المنتجة في استعمال النَّصّ TEXT UTILIZATION بل يجب، في تصوُّره، أن تُنسب لها القيمة الأعلى؛ بوصفها تفسيرات إيضاحيَّة. أمَّا الصِّياغات التَّجريديَّة التي تتفرَّع عنها تراكيب معتمدة، فلا يمكن أن تُعدّ ممثّلة للغة الإنسانيَّة؛ لأنَّها صنعة تستبعد عند الاقتراب أكثر من الأمثلة المقبولة في النَّشاط الإنسانيّ. وأمَّا **الأمر الثاني**، ففي وجوب النَّظر إلى مفهوم المقدرة Competence بصورة أكثر اتساماً بالتَّكامليَّة، وذلك لأنَّ البحث في تحديد القدرات التي تجعل الناس من أصحاب المقدرة على إنتاج النُّصوص وفهمها بنجاح دائم، هو ما يجعل نظريَّة النَّصّ ذا طابع ذهنِّيّ في معناه الأساس، وصالحاً من النَّاحية العمليَّة.

لدينا من الأصول النَّظريَّة والإجرائيَّة في الدَّرس اللِّسانيّ إذن، ثلاث منازل، تعتمل في وضوء منطق من التَّفاعليَّة في نظريَّة النَّصّ: ١ـ النَّصّ في صورته الافتراضيَّة/النِّظاميَّة، ٢ـ ثُمَّ استعماله المشوب بموقفه وسياقه، ٣ـ ثُمَّ الظَّواهر الإنشائيَّة والاتّصاليَّة التي تتمثَّل في الإجراءات العمليَّة، في تكوين النَّصّ وإنتاجه واستيعابه وفهمه وتفسيره، والأخير، فيما يبدو لي، هو مفهوم كُلِّيّ يمثّله نحو النَّصِّيَّة TEXTUALITY، وهو مدار الجهد الذي ينبغي أن يلتفت إليه أكثر، مقارنة بسواه من مجالات الدَّرس اللِّسانيّ النَّصِّيّ، إنَّه في عبارة مختصرة: "ما يكون به النَّصّ نصّاً"، وهو، أعني: "نحو

النَّصِّيَّة"، بذلك أولى بالتَّوصيف من "نحو النَّصّ"، بدليل من مقولات النَّصِّيَّة، و"معايير نصِّيَّة النَّص"، وليس من نصّ بلا نصِّيَّة، فكيف به وهو قائم عليها!، ناهيك بأنَّها المسؤولة عن مشروعيَّة "إيجاد النُّصوص واستعمالها"(٧).

ولكن إذا كان مفهوم النَّصِّيَّة بهذه القراءة: جملة الإجراءات الإنتاجيَّة والإفهاميَّة التي يتكوَّن في دائرتها النَّصّ ونحوه من التَّوصيف، فما النَّصّ إذن؟!.

أتى على هذا الاستفهام حين من الدَّهر لم يكن شيئاً مذكوراً(٨)، وعندما تُصوِّر شأنه بدأت فيه أقلام الباحثين بالاستقراء، والدَّارسين بالاستقصاء، بيد أنَّه لمَّا يُتحصَّل من جواب كافٍ شافٍ له، لم يكن فيه حمولة نقدٍ وأخذ، أو توجيه ونظر، أو استدراك من قراءة لمَن يعتمد على بنية النَّصّ اللُّغويَّة فحسب، أو مَن يعتمد على أصوله التَّواصليَّة ليس إلا، أو من يأخذ بالاعتمادين، وكلٌّ في توصيفه بجهةٍ مِن "كمّ"، أو "كيف"، في ضوء نظريَّة النَّصّ(٩).

لقد أدرك مؤسّسو لسانيّات النَّصّ أنفسهم، وعلى رأسهم "فان دايك"، أنَّه ليس من السُّهولة وضع تحديد معيَّن للنَّصّ، ولذلك أخذ عليه، أعني: على مفهوم الاستفهام، بوعي، سذاجتَه(١٠)؛ قائلاً: "ليس من الممكن... من حيث المبدأ أن نعطي تعريفاً عن مفهوم النَّصّ"(١١)؛ وذلك لعِلَّة ما في شؤونه المتعدِّدة، واختصاصاته المتداخلة، إنَّ كلّ العلوم والفنون لها نصّ(١٢).

ولقد يصل النَّظر في عدم سهولة التَّحديد إلى نحو من نقد النَّظريَّة النَّصِّيَّة نفسها للنصّ، موضوعها، عند محاولة تعيينه، يقول "بارت": "إنَّ الكلام الذي يقرِّر المتحدِّث استخدامه لتعريف النَّصّ كلام له خطره؛ لأنَّ من حقّ نظريَّة النَّصّ أن تستأزم كلّ نحو من المتكلِّم، بما في ذلك لفظها الخاصّ: إنَّ نظريَّة النَّصّ هي أوَّلاً نقدٌ مباشر لأيّ لغة واصفة،..."(١٣).

ويرى "برينكر": أنَّ "في علم لغة النَّصّ توجد تعريفات مختلفة للنصّ، ولا يوجد حتَّى الآن تعريف مقبول بوجهٍ عام،..."(١٤). وكذلك الأمر مع "سشايفر" إذ يرى فيه ندرته أيضاً؛ وذلك لكثرة مفاهيمه، يقول: "إنَّه لمن النادر أن يكون مفهوم النَّصّ، المستعمل بشكل واسع في إطار اللِّسانيات والدِّراسات الأدبيَّة، قد حُدّد بشكل واضح،..."(١٥).

ولقد يُحار الأمر في تعيين مفهوم النَّصّ ما يجعل التَّردُّد في حدِّه منزعاً للنقد، وهي قراءة الأستاذ الشاوش، لـ"هاليداي وحسن"، يقول فيها: يرى هاليداي وحسن أنَّه من الغرر [كذا] أن نذهب إلى أنَّ مفهوم النَّصّ محدَّد تحديداً تامّاً، أو أن ندّعي أنَّه من اليسير علينا أن نجزم فنقول إنَّ هذا الكلام يكوِّن نصّاً واحداً، وأنَّ ذاك لا يكوّن نصّاً واحداً..."(١٦).

ولعلَّ قراءة "مرجوت هاينه مان" كانت أكثر إثراءً في مناقشة هذه الإشكاليَّة: ما مفهوم النَّصّ؟ وكيفيَّة الدُّخول إلى مفاهيم النَّصِّيَّة؟. عندما وضع كتابه "أسس علم لغة النَّصّ" محاولاً فيه معالجة مشكلة علم النَّصّ موضوعاً وتعريفاً وإجراءً، في إعراب مخصوص، يقول فيه: "عنى لغويّون كثر منذ السبعينيات بظاهرة "النَّصّ" ونرغب في محاولةٍ تنظيم هذه الجهود المتنوّعة، وإن نجملها بشكل منظَّم في شكل نظرة عامة، وفي ذلك يمكننا ابتداءً أن نختار عدداً كبيراً نسبياً من الأعمال التي استخدمت باستمرار تحت عنوان "نصّ"، ولكنَّها لم تسهم إلا بقدر ضئيل في حلّ مشكلات متعلِّقة بالنَّصّ،..."(١٧).

ولكنَّه، أعني: "مرجوت هاينه مان" ما أن يصل إلى مجمع منها حتَّى ينتهي إلى قراءة عدم كفايتها، يقول: "قُدِّمت عن السُّؤال المهمّ لعلم اللُّغة عن جوهر النَّصِّيَّة في ألف تعريف للنصّ تقريباً، إجاباتٌ مختلفة بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً إلى حدّ ما. وكان من اللافت للنظر أنَّ العدد الأكبر من الأعمال لم يستوعب ويعرض بشكل مناسب إلا جانباً جزئيّاً من النُّصوص من منظور نظريّ أو منهجيّ متباين، وأنَّه على العكس من ذلك لم يُتحدَّث عن الظَّاهرة المعقَّدة "النَّصّ" بوصفه كلّاً يعمل في التَّفاعل إلا أحياناً"(١٨).

بيد أنَّ هذه القراءات: إشكاليَّات تحديد النَّصّ مصطلحاً اتفاقيّاً، لا تعني عدم محاولة إيجاد البدائل المخصوصة بالمعالجة النَّصِّيَّة وممارستها الإجرائيَّة؛ من أجل تعيين مفاهيم تجري في ضوئها مهام علم في نظريَّة نحو النَّصّ والنَّصِّيَّة، ولذلك تحوَّل النَّظر من حدِّه الاصطلاحيّ، بوصفه الإشكاليَّة نفسها، إلى قراءة أخرى تتعلَّق بالخصائص والسِّمات التي يمكن أن تُدرك بالنَّصّ، وبحسب ما يمتلكه النَّصّ نفسه منها، وهي قراءة توازي، في تصوُّري اليسير، قراءةَ تحوُّل الفكر اللِّسانيّ من مجالات معالجة الجملة دراسةً، إلى مجالات الاشتغال بالنَّصّ وصفاً وتفسيراً، تكويناً وكنهاً.

ولهذا نجد "فان دايك" يترك النَّظر في مفهوم النَّصّ، لا لعدم أهمِّيّته، بل للوصول إليه بطريق غير مباشرة؛ لتوقُّف قيمه المعرفيَّة وأصولها النَّظريَّة والإجرائيَّة والتَّواصليَّة عليه، وذلك حين حوَّلَ السّؤال عنه إلى كيفيَّة وصفه وتحليله، قال: "سنستبدل بالسُّؤال السَّاذج ما النَّصُّ؟، سؤالاً آخر، وسنحاول أن نحمل إليه جواباً "**كيفَ نحلِّل نصّاً؟**"(١٩).

ولكي يصل إلى مراده في التَّحليل النَّصِّيّ، أخذ في حسابه جملة من المبادئ والأنساق التَّحليليَّة للنصّ، وصل عن طريقها إلى خلاصة، أجملها في قول: "أنَّ الدِّراسة النَّسقية للنصوص لا تستطيع أن تكون سوى نظام متداخل العلوم، فالنُّصوص لا تملك فقط بنى قاعديَّة على مستويات مختلفة (أصوات، كلمات، بناء الجملة، المعنى)، ولكنَّها تملك أيضاً بِنًى أخرى مثل البنى العليا

(التَّرسيمات) والبنى الأسلوبيَّة والبلاغيَّة التي هي في عدد من مستويات النَّصّ مسؤولة عن التَّغيُّر وعن البنينة الإضافيَّة"[٢٠].

يبدو أنَّ إفضاء "فان دايك" من تحديد النَّصّ إلى وصفه وتحليله بحسب مميزاته التي تعمل في ضوء إمكانات اللُّغة على العموم، ثُمَّ منها إلى معرفة خصائصه ومميزاته، ـ يستدعي فكرة إبعاد القواعد المجرَّدة التي تتحكَّم بالنُّصوص كما تقدَّم بنا من نقد "دي بوجراند"، إلى اجتراح معايير وصفها وتحليلها، وهي فكرة يوافق سلوكها سلوك "جوناثان كلر" أيضاً ـ الخروج من إشكاليَّة النَّصّ مفهوماً وحدّاً إلى نحو قواعد التَّحليل والتَّفسير إجراءً، على الرّغم من سعتها وشموليتها ـ يقول "جوناثان كلر": "إنّنا نستطيع الوصول إلى القواعد التي تحكم تفسير النُّصوص، وليس القواعد التي تحكم النُّصوص، إنّنا يمكن أن نؤسِّس المعايير والإجراءات التي تنتج التَّفاسير، عندما نبدأ بإقامة مجال من التَّفسيرات المقبولة لدى القُرّاء الماهرين"[٢١].

أقول: يبدو لي أنَّ كلّاً من توصيف "فان دايك"، و"جوناثان كلر" في إجرائيَّة التَّحليل وقواعد التَّفسير؛ توجيهاً لمفهوم النَّصّ من جانب ما فيه من مداخل واختصاصات، وهي على سعتها وشمولها داعية إلى تأسيسه، تأسيس جهاز النَّصّ، حتَّى كأنَّ الوصف النَّصِّيّ تحليلاً وتفسيراً، ـ أمرٌ يفضي إلى الإيفاد بتعريفه مفهوماً، وإلا فكيف يمكن النَّظر في منظورٍ فيه، دراسةً، من غير وجود له، ولو إجمالاً![٢٢].

وهذا ما أفصح عنه "فان دايك" نفسه، قال: "يمثِّل تحديد ما تكوِّنه مميزات النُّصوص المَهمَّة التي يضطلع بها علم النَّصّ،... ومع ذلك، فإنَّه يبدو لنا ضروريّاً بالدَّرجة الأولى أن نحدِّد ما نفهمه حدسيّاً من كلمة "نصّ". فنحن إذ نحدِّد هكذا موضوع علم النَّصّ، فإنّنا نستطيع أن ندلّ بشكل أكثر دقَّة ما هي المهمَّات والقضايا الخاصَّة بهذا النِّظام العلميّ"[٢٣].

ولقد سعى "مرجوت هاينه مان" تمثيل هذا الإجراء العلميّ أيضاً في توظيف مداخل كـ"طرائق أساسيَّة في وصف ظواهر نصِّيَّة"، بغية تحديد نصِّيَّة النَّصّ، وهي مداخل تُفصح عن مكوِّنات النَّصّ، وكيفيَّات تشكيله وترابطه واتّساقه، وتعرب عن نفسها وسائل وآليَّات تعتمل في التَّحليل النَّصِّيّ ممارسةً، فضلاً عن وصفه، وهي:

١ـ **المدخل النَّحويّ**: النُّصوص، وحدات أساسيَّة للاتصال اللُّغويّ، تُطبع ابتداءً بشكل أساس بالوسائل اللُّغويَّة المشكِّلة لها؛ ولذلك يُعدّ وصف الأبنية السَّطحيَّة للنصوص وبخاصة وصف النِّظام العلائقيّ النَّحويّ أساساً جوهريّاً لإدراك نصِّيَّة النَّصّ بشكل مطلق[٢٤]. ٢ـ **المدخل الدَّلاليّ**: توعز سلسلة من ظواهر العالم اليومي بفهم النَّصّ ذي طابع دلاليّ، فمن الواضح أنَّ النُّصوص تنقل

معلومات كثيرة، بوصفها ذلك الكم الذي يترسَّب مباشرة في البنية السَّطحيَّة[٢٥]. ٣. **المدخل البراجماتي ـ الاتّصاليّ:** لا يمكن أن تتحقَّق وحدة النُّصوص من أبنية السَّطح وعلاقات دلاليَّة لعناصر النَّصّ فحسب، فالنُّصوص لا تعني بتصوير الواقع فقط؛ إنَّه تُعزى إليها أساساً وظائف اتصاليَّة معيَّنة أيضاً، إنَّ النُّصوص إنَّما تُنطق أساساً لهدف براجماتيّ تواصليّ، وأصحابها يرومون بمساعدتها إلى أغراض، ويتوقَّعون نتائج[٢٦]. ٤. **المدخل الإدراكيّ:** إنَّ الإجراءات النَّفسيَّة ذوات صلة بتفسير العلاقات النَّصِّيَّة، فليست النُّصوص القائمة على أساس الاتصال ظواهر استاتيكيَّة فحسب، بل تُعزى إليها بوجهٍ خاصّ سمة الإجرائيَّة والعمليَّات الإدراكيَّة؛ بوصفها عمليّات استيعاب المعلومة[٢٧].

فهذه المداخل هي عبارة عن خصائص ومميزات تؤكِّد أنَّ النَّصّ إنَّما يشتغل في ضوء فاعليَّة من إجراء، ولا يتحصّل مفهوم نصِّيّته بمدخل منها دون آخر، بل في كونه كُلّاً متفاعلاً في سياق من تواصل وهدف وغاية، ناهيك بالفهم والإدراك ومعرفة العالم، وهي، أعني: هذه المداخل، بالضّرورة، كما تُفصح عن كونها معايير نصِّيَّة ينبغي توافرها في مفهوم النَّصّ، تُفصح عن كونها وسائل لتوصيفه، وآليّات لتحليله، ومستويات لفهمه وتفسيره أيضاً؛ إدراك نصِّيّته الكُلِّيَّة.

وأقول: لعلَّ مطلب تعريف مفهوم النَّصّ في قراءة اللِّسانيّين النَّصِّيّين لم ينله حظّ من التَّمام والتَّوافق؛ لعِلَّة ما يشتغل فيه النَّصّ من شؤون متداخلة يُفصح عنها كلّ ما كان له من النَّصّ طرف وشأن[٢٨]، فليس من علم أو فنّ ـ كما تقدَّم بنا ـ لا يستند في توصيف نفسه إلى مقولة نصّ، وليس من إشكاليَّة لا تطرح نفسها في نصّ، وليس من حلّ توافقيّ، أو خلافيّ، لا يلجأ في إظهار نفسه إلى نصّ، وليس من نصّ لا يستند ويستعمل دائرة المعارف اللُّغويَّة، وليس من لغة لا تعمل في أنظمة مؤسّساتها وقيمها التَّكوينيَّة: الوصفيَّة والتَّفسيريَّة، إنَّه: النَّصّ، طيف بألوان متعدِّدة، وليس من لون فيها هو النَّصّ، إنَّه مجمع الألوان، "فُسَيْفِساء"، في نسيج واحد، وهو ما كان ينبئ عنه عنوانه الآخر في ترجمة "Text".

ولهذا لم يكن اللِّسانيُّون النَّصِّيُّون لينتهجوا ذكر جملة من حدوده ومفاهيمه ابتداءً؛ ابتغاء معرفته والعمل في ضوء مرجعيّاته الإجرائيَّة؛ صياغةَ قراءة وتحديدَ موضوع، حتَّى يصلوا إلى خاتمة ـ وهي ممَّا لا بدَّ منها؛ لأنَّ النَّصّ محلُّ النَّظريَّة وموضوعها ـ إلا ويقدِّموا فيها بياناً عن جلالة قدره، وخطورة شأنه، ومجازفة القول فيه، ورُبَّما الاعتذار؛ لعمومه وشمول محطّاته ومنازله التَّعريفيَّة، ومستوياته الإدراكيَّة، وأنَّ تعريفاً واحداً لا يفي به تامّاً، يقول "زتسيسلاف": "ونريد في الختام أن نؤكّد مرةً أخرى على أنَّه بالنِّسبة للنصّ بوصفه هدفاً بدهيّاً للتحليل، وموضوع بناء النَّظريَّة ربَّما لا يوجد إلى الآن أيّ تعريفٍ تامّ مطلقاً، أعني: تعريفاً قاطعاً"[٢٩]. ثُمَّ يقول: "وعلى الرَّغم من ذلك نريد هنا أن

نخاطر بتعريف موجز يجمل نتائج هذا المبحث. نفهم تحت "نصّ" مكوّناً لغويّاً أفقيّاً، نهائيّاً، مقصوداً بـه التّطـابق لواقعة التّواصـل المختصّـة، يصير مـن خـلال الدّمج الإنجـازيّ وأوجـه التّنـاظر الدّلاليّـة ـ الموضوعيّة والتّرابطات النّحويّة تتابعاً متماسكاً من الجمل"(٣٠).

مقاربة مفاهيم نصّيّة النّصّ بـ"مكعَب روبيك" هندسةً وخوارزميّات:

يرى "دي بوجراند" أنَّ النَّصّ منطوقاً أكان أم مكتوباً عندما يقع عليه نظر المتأمِّلين رُبَّما يُدرك بعضـهم منـه لغتـه، وبعضـهم معنـاه، وبعضـهم مـا ينقلـه من معلومـات، يقـول: "وكلّ هـؤلاء المتـأمّلين يُدركون ناحية واحدة متزامنة من النَّصّ، وهي واحدة من مستوياته (LEVELS). ومن المعقول أنَّه لا بدّ للسانيّات أن تحاول استنباط هذه المستويات وتنظيمها بوصفها مجالاً حقيقيّاً للبحث"(٣١) النَّصّيّ.

ليس في النَّصّ إذن، شكلٌ واحدٌ تتوافق عليه الأقـلام النَّصّيَّة، وتتفق عليـه التَّصـوُّرات اللّسـانيَّة إنَّ ثمَّة أشكالاً متعدِّدة للنصّ، ووجوهاً مختلفة، ومستويات متواصـلة ومتفاصلة في عالمـه، تكوّن منـه نصّيَّةً تتحكَّم فيه صـياغةً وإنتاجاً وفهماً واسـتيعاباً وتـأويلاً، وهي مركزيَّة تقـارب، في ظنّـي المتواضـع "مكعَّب روبيك"(٣٢)، هندسـةً وخوارزميّاتٍ(٣٣)، "فـي ذات موحَّدة، مسنَّنة بسنن من المتقـابلات وشبكة العلاقات العموديَّة والأفقيَّة والطُّوليَّة إن سطحاً أو عمقاً، تعمل بأنظمة القيم المتفاعلة باتّساق وانسجام، في مركزيَّـة نواة هـي العقل الجمعيّ لهذه الأدلّـة اللّسانيَّة ومستوياتها، وقد تمثَّلت بـألوان متعدِّدة ووجوه متقاربـة، متباعدة ـ ناهيك بمـا يحتويه كلّ وجه منـه من المكعَّبـات الصَّـغيرة وأوجهها وألوانهـا المتعدِّدة أيضاً ـ فكلّ وجه فيه من الاختلاف والتَّوافق ما تُمسك بـه تلك النَّواة من أن ينفلت أو يقع حتَّى كأنَّها تمثِّل قوةَ جذبٍ لهذه المكعَّبات، تعمل علـى شدِّها وترابطها، سواء الحاضـرة منها في الوجه المقابل، أم الغائبة منها في الوجه القريب البعيد. إنَّه عالم مصغّر مقاربة بنصّ العالم الأكبر"(٣٤).

ولقد نجري في التَّمثيل بـه بما يقـارب غايتـه في الفهم والتَّأويل والتَّفسير، وذلـك فـي مسـتويات حَلّهِ، وفكّ شفراته ورموزه، وكشـف خفايا مكنونـه وسـرّه؛ لأنَّـه علـى ثلاثـة أسطح فـي ثلاثـة متعامـدة فالأسطح الأولى والثَّانية منه، من الأسفل، تعتمل فيها معادلات من التَّفسير، أمَّا المستوى الأخير وهو السَّطح الفوقي/المستوى الثَّالث الأعلـى منـه، فإنَّـه يمثِّل مدار الفهم والتَّأويل، بكلّ أبعـاده وخوارزميّاتـه التـي تكوْن خفيـةً إلا علـى مَن يمتلـك المعـادلات الخاصَّـة بالحلّ، وهو القيمـة العليا من إجراء مفـاهيم نصّيَّة النَّصّ.

أقول: هذا إذا كانت النَّظرة إلـى السَّطح المستوي من المكعَّب، مـن غيـر أن يوضـع فـي دائـرة وصـفٍ مخصـوص أكثر، أمَـا والـنَّصّ فيهـا، فسيكون لهذه الدَّائرة هندسـة خاصَّـة في تشكيلها؛ لأنَّهـا ستقسّم على ستة أوجُه، كما في المكعَّب أيضاً، ولكنَّ وضـع المكعَّب لـه وجه مستوٍ، أمَّا وهو في داخل

الدائرة، فسيكون لها به في كلّ وجه وجهان مختلفان: خارجيّ محدَّب، وداخليّ مقعَّر، والقراءة لكلّ إنَّما تنعكس بحسب هذه الوجوه والأشكال ومرجعيّاتها التأويليَّة والتَّفسيريَّة، هكذا:

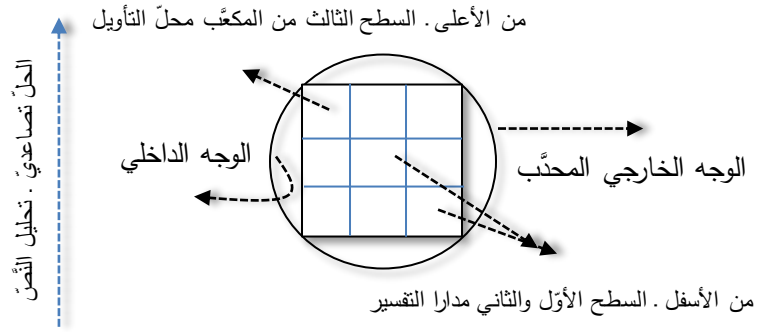

النَّصّ ـ تعدُّد الوجوه والقراءات

وهل لنا أن نحدو بالسُّؤال الأوَّل منه إجابة إذن، في: ما مفهوم النَّصّ؟.

يمكن لنا إجراء وصف مفهوم النَّصّ، في ضوء ما تقدَّم، بأنَّه: نسقٌ معرفيّ، في تكوين كُلِّيّ: لغويّ، دلاليّ، تواصليّ، تستأنس ثقافاته بقيم من البثّ والاستقبال، إنَّه ذلك العالم العجيب الذي يصوِّره العقل الكلاميّ عن الكون، والإنسان، ومعرفته، وشعوره، وإرادته، وفعله، في لغة خاصَّة، وهدف مقصود.

ـ نحو معايير نصِّيَّة النَّصّ:

ـ منطق آليَّات التَّكوين النَّصّيّ / التَّأليف والتَّفسير والتَّوصيف:

أسّست اللِّسانيّات النَّصِّيَّة تمثيلها الموضوعيّ في النَّصّ، واتَّخذت منه سمة عليا في توصيف خصائصها ومنطلقاتها الأصوليَّة والإجرائيَّة، ولهذا حدَّدت لنفسها بذلك الممثِّل الموضوعيّ ـ النَّصّ، مهامّاً ووظائف، واشترطت فيه اقتضاءً؛ لكي يعمل على تأدية حقَّها هدفاً وغايةً، مبادئ ومعايير لغويَّة بمفهومٍ شموليّ: نحويَّة، بنائيَّة، دلاليَّة، تواصليَّة، كوَّنت بها اللِّسانيّات شريعةً ومنهجاً تحت مفاهيم نحو النَّصِّيَّة.

ولقد عيَّن نحويّو النَّصّ جملة من هذه المبادئ والمعايير النَّصِّيَّة، ولكنَّها لم تكن بأوفر حظّاً من مفهوم النَّصّ نفسه وإشكاليَّاته؛ إذ نالها من عدوى النَّظر المعرفيّ، ما جعلها بين مدّ وجزر [٣٥]، يقول "زتسيسلاف": "يُفهم تحت "نحو النَّصّ" ذلك الفرع من قواعد النَّصّ التي لم تُقَم بعد، وهو الذي يصف

وسائل التَّعبير المسؤولة عن عمليَّة تشكيل النَّصّ. وخلافاً لدلالة النَّصّ، وبراجماتيَّة النَّصّ يقتصر مجال نحو النَّصّ على الوسائل اللُّغويَّة المتحقِّقة نصّيّاً والعلاقات بينها"[٣٦].

وعلى الرّغم من اقتصاره على نحو بنية النَّصّ اللُّغويَّة ثمَّة؛ بوصفه أحد وسائل التَّكوين النَّصّيّ، فإنَّه عندما يأتي إلى موضوع "فهم النَّص" يتّخذ من المعايير برامج تمثِّل فاعليَّة التَّكامل فيه، لأجله، يقول: "كلّ فهم للنصّ يشتمل على الأقلّ [كذا] على ثلاثة مكوِّنات: المكوِّن البراجماتي، والمكوِّن الدَّلاليّ، والمكوِّن النَّحويَّة [كذا]،..."[٣٧]. وهي مكوِّنات وبرنامج تفضي إلى "امتلاك النَّصّ" لديه[٣٨]، ناهيك بتوصيفه.

ولا ريبَ في أنَّ هذا من شأنه أن يفرض على مريد النَّصّ، محلِّلاً، كاشفاً عن خصائصه، استراتيجيَّة خاصَّة في التَّوصيف والتَّحليل النَّصّيّ إذ يتحتَّم عليه أن "يسلك... طريقة خطِّيَّة، متدرجاً من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالباً) حتَّى نهايته، راصداً الضَّمائر والإشارات المُحيلة، إحالة قبليَّة أو بعديَّة، مهتمّاً أيضاً بوسائل الرَّبط المتنوِّعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك وهلم جرّا. كلّ ذلك من أجل البرهنة على أنَّ النَّصّ/الخطاب (المعطى اللُّغويّ بصفةٍ عامة) يشكّل كلّاً متآخذاً"[٣٩].

وأقول: يبدو أنَّ مسألة التَّداخل المعارفيّ في مفهوم النَّصّ هي التي جعلت توصيف معاييره النَّصّيَّة تختلف من نظر إلى آخر، وتتشكَّل في نسبيَّة لا تضيق أبداً، يقول الأستاذ بحيري: "تكشف مناهج التَّحليل والتَّفسير عن أوجه تداخل شديدة؛ إذ نلاحظ أنَّ أغلبها يوظِّف عناصر لا تنتمي إلى علم بعينه، بل إلى علوم مختلفة، ويجتهد في تحقيق نوع من المواءمة بين تلك العناصر المختلفة لتشكيل نسيج متشابك معقَّد، يتّخذ شكلاً من أشكال النَّظريَّة أو النَّموذج يمكِّنه من تحليل وتفسير دلالات العلامات التي تكوِّن النُّصوص"[٤٠].

وهذا ما نجده أيضاً في قراءة الأستاذ أحمد عفيفي، عندما وقف على معايير النَّصّ لافتاً إلى أنَّ نحو النَّصّ "نحو هجين" بإشارة من "دي بوجراند"[٤١] نفسه، ولكن بنحو من التَّكامليَّة: من النَّحو والدَّلالة، والنَّحو الدَّلاليّ. يقول الأستاذ عفيفي: "إنَّ نحو النَّصّ نحو هجين، يتكوَّن من مجموعة من الفروع اللُّغويَّة والأدبيَّة والنَّقديَّة والنَّفسيَّة... وعلى هذا يتداخل هذا العلم مع مجموعة أخرى من العلوم ويستوعب معارف ومعلومات كثيرة منها السِّياق المباشر، وهو مجموعة السِّياقات النَّفسيَّة والاجتماعيَّة التي يتمّ فيها إنتاج النُّصوص وفهمها"[٤٢].

ولكنَّ ما يشفع لهذه القراءات والاختلاف في هذه المناهج، أنَّها تشترك على نحو اتفاق "في أنَّ تحليل النَّصّ لا يتوقَّف عند استقاء المعايير والضَّوابط، بل يسعى بانتقاله من مستوى إلى مستوى

أعمق إلى استجلاء جوهر الظَّاهرة اللِّسانيَّة وإلى فهم أمثل لها"[٤٣]. صحيح أنَّ التَّحوُّل في "التَّحليل النَّصِّيّ قد أفرزته حتميات عديدة نتجت عن بروز مهام جديد يتطلَّب أداؤها أن تتعدَّد الوسائل وتكثر الأدوات وتتنوَّع الاتجاهات، ولكن صحيح أيضاً أنَّه يحاول أن يضع تصوُّرات عديدة أيضاً تشترك في هدف بعينه وهو الكشف عن أسرار النِّظام اللُّغويّ الكُلِّيّ، وما فيه من غاية، وهي **المعنى**، ذلك الهدف الذي تتعاضد مستويات التَّحليل المختلفة في الوصول إليه[٤٤].

على أنَّ هذه المهمَّة ليست هي قوانين تُفرَض، أو قواعد تتحكَّم وتحبس، بل هي ملامح لتفجير الطَّاقة الكامنة في اللُّغة واستعمالاتها، كما يصف الأستاذ بحيري: "مهمَّة البحث النَّصِّيّ،... هي تحديد الملامح أو السِّمات المشترك بين النُّصوص ووصفها وتحليلها استناداً إلى معايير مختلفة لغويَّة وغير لغويَّة دون تسخيرها لوضع قوانين صارمة تتحكّم في كيفيَّات الوصف والتَّحليل، إنَّها قوانين مفسِّرة لأوجه الاختلاف والفروق الدَّقيقة بينها وإبراز الخصائص المائزة لها،... إنَّ مهمَّة علم لغة النَّصّ عزل الظَّواهر الخاصَّة بأبنية النُّصوص واستخدام أشكالها في التَّواصل وتحليلها لتحديد الخواص العامَّة التي يجب أن تتوفَّر في أيّ نصّ لغويّ يقوم بوظيفته كنصّ، وهي خواصّ ترتبط بالأبنية النَّحويَّة والدَّلاليَّة والأسلوبيَّة والهيكليَّة،..."[٤٥].

ومن هنا كانت قراءة "دي بوجراند" لهذه المعايير النَّصِّيَّة على نحو راصد لكلّ ما للإمكانات اللُّغويَّة وغير اللُّغويَّة، وما في شؤونها التي يُعتمد عليها مطلباً في التَّكوين والتَّحليل والتَّفسير والتَّوصيف النَّصِّيّ، حتَّى يمكن القول: إنَّ قراءته تُعدّ خلاصة لكلّ ما في مباحث النَّصِّيَّة، مفهوماً للنصّ، وآليّات لتوليفه، ثُمّ معايير لتحليله وتفسيره واستيعابه وفهمه وتخطيطه، وذلك على نحو قراءات ثلاث، يمكن بيانها بالآتي:

القراءة الأولى، وخلاصتها: أنَّ نظريَّة النَّصّ تتواثق معاملها الاعتماليَّة في ضوء المنهج التَّواصليّ على ثلاثة مجالات كُلِّيَّة، تضمّ قواعد وآليّات إجرائيَّة متعدِّدة تتوقَّف عليها نظريَّة بناء النُّصوص، حتَّى يمكن القول إنَّها مؤسّسات النَّصّ الرَّئيسة، وعيون أصوله، وهي[٤٦]:

١. النَّحو، في: التَّرابط الرَّصفيّ SEQUENTIAL CONNECTIVITY.

٢. الدَّلالة، في: التَّرابط المفهوميّ CONCEPTUAL CONNECTIVITY.

٣. التَّداوليَّة، في: أعمال وخطط وأغراض ACTIONS - PLANS - GOALS.

يقول "دي بوجراند": "كلّ من هذه المجالات يخضع لضوابط تتعلَّق به أثناء الاتّصال. وتأتي العناصر المعيَّنة بخصوصها في حدود استمراريَّة CONTINUITY تنشأ من الطبيعة التَّوجيهيَّة DIRECTIONALITY لمجرى الضَّوابط CONTROL FLOW. وبهذا تفتقر هذه العناصر

إلى نظرة ديناميكيَّة لا تتّجه إلى البحث في منوال تراكيب النَّصّ فقط، بل إلى العمليَّات التي يمكن أن تؤلِّف التَّركيب وتبيّنها وتنتفع بها كذلك... فإذا عرفنا التَّركيب بأنَّه علاقة توارد بين عنصرين نظاميين، على الأقلّ [كذا]، فمن الواضح أنَّ نظريَّة استعمال اللُّغة ينبغي أن ترتكز على مفهوم التَّرابط CONNECTIVITY"[٤٧].

القراءة الثانية، وخلاصتها: اقتراح معايير نصِّيَّة النَّصّ بعد إثبات عدم نفع نظام الجملة في إيجاد حلول تتجاوز مبانيها، قال "دي بوجراند": "وأنا أقترح المعايير التالية لجعل **النَّصِّيَّة** TEXTUALITY أساساً مشروعاً لإيجاد النُّصوص واستعمالها"[٤٨]. وهذه المبادئ سبعة أصول يتحصَّل بها النَّصّ على نصِّيّته، ولا مفهوم للنصِّيَّة في نصّ إلا بمراعاتها بحسبه. وهي[٤٩]:

١. **السَّبك** (Cohesion). ٢. **الحبك** أو **الالتحام** (Coherence). ٣. **القصد** (Intentionality).
٤. **المقبوليَّة** (Acceptability). ٥. **رعاية الموقف** (Situationality).
٦. **التَّناص** (Intertextuality). ٧. **الإعلاميَّة** (Informativity).

يقول "دي بوجراند" مستدركاً منبِّهاً: "وليستْ هذه المعايير جديدة بطبيعة الحال، ولكن علاجها حتَّى هذه اللحظة جاء مفرقاً ومدمجاً... بسبب الخلط في طبيعة فهم الجملة..."[٥٠]؛ ولهذا فعل أن جمعها تحت مفاهيم نصِّيَّة النَّصّ، وإنجاز ما بدأ التَّفكير به من قراءة النُّصوص وفهمها، بوصفها الموضوع الرَّئيس في التَّحليل اللِّسانيّ.

القراءة الثالثة، وخلاصتها: تعديل مسار هذه المعايير السَّبعة على الرّغم من التزامها، وردّها إلى أصولها الاعتباريَّة وتوزيعها بحسبها على ثلاثة أصول، وذلك بمرجعيَّة مخصوصة بالأداء والإجراء، وفي رُؤى خاصَّة؛ يمكن أن نجليها على نحو ما يأتي:

. **الرؤية الأولى:** وتتمثَّل في قوله: "من هذه المعايير السَّبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنَّصّ: (السّبك والالتحام)، واثنان نفسيّان بصورة واضحة (رعاية الموقف، والتَّناص)، وأمَّا المعيار الأخير (الاعلاميَّة)، فهو بحسب التَّقدير"[٥١].

. **الرؤية الثانية:** وذلك في قوله: "إنَّه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يُفهم دون التَّفكير في العوامل الأربعة جميعاً: اللُّغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء processing"[٥٢].

. **الرؤية الثالثة:** وهي استدراك لما ينبغي أن يكون تحت مبادئ التَّأسيس، من قواعد تتعلَّق بالتَّصميم النَّصِّيّ، والكفاية النَّصِّيَّة والتَّأثير النَّصِّيّ، ومنها إلى تحديد قيم النَّصّ والنَّصِّيَّة، وليس تحليلها فحسب[٥٣].

أقول: ولعلَّ الرُّؤية الثانية من هذه الرُّؤى، تكون أجمع لكلّ مفاصل التَّوصيف، وسمة عليا لكينونة النَّصّ في ضوء جهاز النَّصِّيَّة المفاهيميّ على عمومه؛ لأنَّها مبادئ أساسيَّة تجري عليها أصول نحويّات النَّصِّيَّة: "ما يكون به النَّصّ نصّاً". وبحساب لا يكون ثمَّة نصٌ بلا لغةٍ، ولا تكون لغة بلا فكرٍ، ولا يكون الاثنان من قيمة إلا بالمجتمع، ولا قِيَم للكلّ من غير معالجة في المعطيات وشؤونها الأدائيَّة الإبلاغيَّة والقصديَّة والمقبوليَّة في ضوء المقاميَّة والظُّروف السِّياقيَّة.

ولعلّي أضمر ثمَّة سؤالاً في توصيف آخر، أقول فيه: هل يمكن أن نقول اجتراحاً: إنَّ مبادئ النَّصِّيَّة أربعة شؤون، وهي: اللُّغة، والفكر، والكون الاجتماعيّ، والممارسة والإجراء والأداء؛ لأنَّها تأسّس لأصول معايير التَّكوين النَّصِّيّ؟.

يبدو لي أنَّ توصيفها بكونها قيماً عليا، داع إلى تحقيق إجابة بالإيجاب. وهو أمر يدعوني إلى القول: إنَّ النَّصّ لا يكون نصّاً إلا بهذه المبادئ الكُلِّيَّة: اللُّغة والفكر والمجتمع والأداء أوَّلاً، ثُمَّ يتجلّى في المعايير السَّبعة ثانياً، محقّقة لكلّ واحدة منها قيمته الاعتباريَّة، بل لا قيمة له إلا بها متضافرة متكاملة؛ إنَّها أصوله الأولى ومنابعه، وعليها مداره وسبيله، وبها يتعيَّن شأنه ومراده. ثُمَّ تأتي إجازة القول من بعد: إنَّ هذه المعايير إذن، هي المبادئ والوسائل التي يظهر بها النَّصّ شكله وصورته، وبها يمكن أن يعيد إنتاج نفسه، وعليها يعتمد في إرسال ما يلائم قصده، ويبلِّغ ما يحمله ذاته، وبها يُصفح عن كنه معناه ودلالته، ثُمَّ عليها يقوم تفسيره وفهمه وامتلاكه.

للنصّ إذن، من مفاهيم النَّصِّيَّة مظهران؛ الأوَّل: باطنيّ، وهذا تؤسّسه المبادئ الأربعة: اللُّغة والفكر، والمجتمع والإجراء. والمظهر الثاني: ظاهريّ، وهو ما يتجلّى في المعايير السَّبعة السَّابقة. وكلّ منهما يعتمل بفاعليَّة جدليَّة تكامليَّة عنوانها نحو النَّصِّيَّة، تمنح النَّصّ روحه وجسده، ليستوي ذاتاً ومعرفةً، تشرئب إليها أعناق القراءة، وتصبو إليها الإنسانيَّة مبدأً.

وهل سلمت مثاقفة هذه المعايير من حمولات النَّقد والتَّوجيه، أو أنَّ حالَها حالُ حاملها، وهو موصوفها الموضوعيّ . النَّصّ؟!.

أقول: على الرّغم من قيم هذه المعايير النَّصِّيَّة، وتوصيف ما يكون النَّصّ نصّاً بها لا بسواها، لما فيها من معطيات التَّوظيف البنائيّ والتَّوليف النَّصِّيّ، ممارسةً ووظيفةً وأداءً، وفي كونها آليَّات للتفسير والتَّحليل النَّصِّيّ، فإنَّها كانت محطّ نظر اللِّسانيين النَّصِّيين، نقداً وتوجيهاً، فمِن معتمدٍ عليها في ثلاثيَّة بيانيَّة على: ١. النَّصّ، سبكاً وحبكاً. و٢. المتكلِّم والمتلقّي، قصداً ومقبوليةً، و٣. سياقه الثقافيّ والماديّ، وهي قراءة الأستاذ سعد مصلوح(٥٤).

ومِن شارحٍ لها في توصيف يصل به إلى عشرة مبادئ في سبيل الدُّخول إلى المفهوم الاصطلاحي للنّصّ، وهي رؤية الأستاذ صبحي إبراهيم الفقي، قال: "إنَّ هذه المفاهيم لا تخرج عن أحد المعايير التالية: ١. كون النَّصّ منطوقاً أو مكتوباً أو كليهما. ٢. مراعاة الجانب الدَّلاليّ. ٣. مراعاة التَّحديد الحجميّ (طول النَّصّ). ٤. مراعاة الجانب التَّداوليّ. ٥. مراعاة جانب السِّياق، وهو متعلِّق بالمعيار السَّابق. ٦. مراعاة جانب التَّماسك، وهو أهمّ المعايير التي يقوم عليها التَّحليل النَّصِّيّ. ٧. مراعاة الجانب الوظيفيّ للنَّصّ. ٨. مراعاة التَّواصل بين المنتج والمتلقِّي. ٩. الربط بينه وبين مفاهيم تحويليَّة، مثل الكفاءة والأداء... وغيرها. ١٠. إبراز كونه مفيداً"(٥٥).

قال "الفقي": "ونعدّ هذه المعايير سمات للنصّ الكامل، وإذا اختلت سمة من هذه السّمات يمكن أن نطلق عليها نصّاً ناقصاً. ولذا يمكن أن نعدّها شروطاً ينبغي توفرها حتَّى يمكن أن نطلق عليه نصّاً كاملاً"(٥٦).

ومِن واصفٍ لها، وهو الأستاذ محمد الشاوش في ملاحظة: "الكثرة النِّسبيَّة لهذه الشُّروط، لكنَّها متى تعلَّق الأمر بالنَّصّ من حيث هو صياغة لغويَّة تنقلب قِلَّة، فأنت لا تكاد تظفر بما يعتمد على صياغة النَّصّ إلا في الشَّرط الأوَّل المتمثِّل في التَّرابط والاتساق [يعني: السّبك]... أمَّا سائر الشُّروط، فالغالب عليها الاهتمام بالنَّصّ من حيث هو صيغة لغويَّة منجزة بما يقتضيه الإنجاز من تعيين للهدف والفائدة والإفادة والحلول في السِّياق المقاميّ"(٥٧).

والذي يبدو لي أنَّ ملاحظ هذه القراءات النَّقديَّة لم تخرج عن دائرة نقد "دي بوجراند" نفسه لنفسه، وهو الذي تقدَّم ذكره سابقاً في منزع الرؤى الثلاث، وإن كان على نحو العموم، هذا إذا لم نقل إنَّها أنفسها، ولا سيَّما مطلب السَّبك والالتحام؛ لأنَّه قبل أن يشرع في اقتراحه لهذه المعايير النَّصِّيَّة، مهّد إلى مقولاتها في النِّظام اللُّغويّ نفسه، قال: "بعد تنظيم كلّ المستويات اللُّغويَّة تبدو اللُّغة في جملتها في صورة نظام متشابك INTERSYSTEM تتوقَّف صلاحيته على تكافل الأنظمة المكوِّنة. ولكلّ نظام ضوابطه الدَّاخليَّة INTERNAL CONTROLS التي تنظيم سنوح البدائل وإمكان التَّركيبات، ثُمَّ ضوابطه الخارجيَّة EXTERNAL CONTROLS التي تنظم تكافل هذا النِّظام مع الأنظمة الأخرى، ولا غنى عن أيّ من النوعين عند إنتاج النُّصوص واستخدامها،..."(٥٨).

ولعلَّ قوله أيضاً: "فإذا عرفنا التَّركيب بأنَّه علاقة توارد بين عنصرين نظاميّين، على الأقلّ [كذا]، فمن الواضح أنَّ نظريَّة استعمال اللُّغة ينبغي أن ترتكز على مفهوم التَّرابط CONNECTIVITY"(٥٩)، لعلَّه خير برهان ودليل على ذلك.

أمَّا عن اختزال سباعيَّة هذه المعايير في ثلاثة منها بقراءة الأستاذ مصلوح، فهو منطق ذو وجاهة، ولكنَّه أشار إليه "دي بوجراند" نفسه إليه أيضاً، كما تقدَّم في الرُّؤية الأولى، وإن كان ولا بدّ من قراءةٍ، فإنَّ هذه الاختزاليَّة النَّقديَّة التالية، يمكن أن تكون عبارة عن تعضيد وتأكيد لها ليس إلا.

وأقول: إذا كان مدار النَّصّ ابتداءً، استعمال إمكانات اللُّغة وتفجير طاقاتها في التَّشكيل والتَّعبير عن المعاني في بناء النَّصّ وتداوليَّاته الإجرائيَّة، فهو حتماً إنَّما يكون بالمعيار الأوَّل والثاني، وهما: "السَّبك والحبك"، ثُمَّ تأتي كلُّ المعايير الأخرى استلزاماً لهما، أو بجامعيَّة كلّ منهما في مفهوم التَّماسُك النَّصِّيّ ومقولاته، في: "العلاقات أو الأدوات الشَّكليَّة والدَّلاليَّة التي تسهم في الرَّبط بين عناصر النَّصّ الدَّاخليَّة، وبين النَّصّ والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، ومن بين هذه الأدوات المرجعيَّة"(٦٠).

ولقد أشار إلى هذه الأهمِّيَّة النَّصِّيّون أنفسهم، يقول الدّكتور أحمد عفيفي: "من الواضح أنَّ المعيارين المتصلين بالتَّرابط النَّصِّيّ (السَّبك والحبك) نالا النَّصيب الأوفر في الدِّراسة عند كلّ مَن تناول نحو النَّصّ... حيث كان الاتّساق النَّصِّيّ من أهمّ أهدافهم عند تحليل الخطاب النَّقديّ، ومن هنا شرع علماء النَّصّ يولون التَّماسُك عناية قصوى، ويذكرون أنَّه خاصيَّة دلاليَّة للخطاب، تعتمد على فهم كلّ جملة مكوّنة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها التَّرابط،..."(٦١). النَّصِّيّ.

ولقد يأخذ الأمر منه في التَّأكيد شأنه ومحلّه، ليقول: "فقد تجسَّدت أمامهم فائدة التَّرابط والتَّلاحم بدءاً بالرَّبط بين المستويات اللُّغويَّة المختلفة في النَّصّ الواحد، فكان هذا الإصرار من نحاة النَّصّ على رفض الفصل بين المستويات اللُّغويَّة، ولهذا كان من أهمّ ملامح نحو النَّصّ دراسة الرّوابط مع التَّأكيد على المزج بين المستويات اللُّغويَّة المختلفة، وكلّ هذا يؤدِّي إلى الاتّساق الذي يتّضح في تلك النَّظرة الكُلِّيَّة إلى النَّصّ"(٦٢).

التَّماسُك/التَّرابط النَّصّيّ جامعيَّة نحو النَّصِّيَّة:

لا ريبَ في أنَّ النَّصّ يصادق معايير تكويناته القضويَّة، وهي برهان وشهادة عليه من جهاز النَّصِّيَّة؛ إنَّها تتنزَّل منه سماته وخصائصه التَّكوينيَّة والإنتاجيَّة والتَّفسيريَّة، ولقد يمتاز، في ظنِّي، منها محور التَّرابط/التَّماسُك النَّصِّيّ بشقيه: الرَّصفيّ والمفهوميّ، ممثِّلاً له، فيه، كالقطب من الرُّحى، قياساً بسواها، بل لعلِّي أقرأ فيه متأمِّلاً حكومة النَّصّ كُلّه؛ بوصفه جهازه المؤسِّس له، المكوِّن لشؤونه الدَّاخليَّة والخارجيَّة، إنَّه بعبارة مقتضبة: جامعة نحو النَّصّ، وسائر المعايير عبارة عن أفلاك تدور

حوله متّخذة من شعاع النَّصّ نوراً تستضيء به، لتتجلّى قيمةً وتوصيفاً متشاكلاً في ذلك "الكُلّ المركَّب"، ذي المستويات المتعدِّدة المتنوّعة المتآخذة.

أقول: يبدو لي أنَّ النَّصّ نفسه مقولة اختزالٍ، تقتصد في طيّاتها كلّ خصائصه التَّكوينيَّة والإنشائيَّة، وليس عن أيّ نصّ أتحدَّثُ، وإنَّما عن النَّصّ الإبداعيّ الممتاز، إنَّه نفسه يشير إلى ذات منشئه، ولا يضمر، بل يعلن عن معارفه وإبلاغيَّات قصده، وهو نفسه يشير إلى متلقِّيه ودعوة منه إلى قارئه، إنَّه في تصوّري اليسير، ليس ثمَّة نصّ إلا به، وأعني: التَّرابط/التَّماسُك، ولا قيامة لمبدأ من مفهوم نصِّيَّة إلا عليه، والدَّليل، حمولة منطق النَّفي، بمعنى: أنّنا لو حذفنا، بلا مبدأ من مقولة التَّأويل التي تعزِّز المفارقات اتفاقاً، لو حذفنا سمة التَّرابط، فهل سيكون لسائر المعايير النَّصِّيَّة من توصيفٍ يُذكر، أو هدف يُراد، والعكس ليس صحيحاً، لقيام النَّصّ به مركزيَّة، وشهادة النِّسبيَّة من سواها تلقّياً.

أقول، مقارباً: هل ثمَّة توصيف لمجموعة شمسيَّة من غير شمس!، إنَّ التَّرابط النَّصِّيّ كالشمس بالنِّسبة إلى سواها، ـ مقاربة التَّماسُك بالمعايير النَّصِّيَّة ـ، والكواكب الأخرى لا محورية فيها بسواها، بل ليس ثمَّة حركة لها من غير نصّ؛ لأنَّ مقولة الجذب والتَّرشيح إنَّما تكون فاعليتها من النَّصّ نفسه.

يمكن القول إذن، لا يكون ثمَّة نصّ متماسك أوّلاً، بلا منطق من توصيف لواحقه النَّصِّيَّة ثانياً، إنَّ النَّصّ حين يمسك بحبل النَّصِّيَّة الأطول، وهو التَّرابط/التَّماسُك، فهذا يعني أنَّه يرشح منه ما تكون به الأخريات معنًى؛ لأنَّها إنَّما به تكون قصديَّة ومقبوليَّة، وإعلاميَّة في إنشائيَّة ومقاميَّة.

ولعلَّ نصّ "دعاء السِّمات" شاهد على ما نحن فيه من توصيف يأخذ بالمفهوم من نحو المقام إلى معرفة الدَّال، فمعارفه التي تقوم به، إنَّما هي عبق من تكوينه، وأصل لإنشائهِ، حتَّى كأنَّ نفسه واصفة لذات إرساله، لغةً تحوي سمات أوصافه، وتجري على فعلٍ رجاءَ إنجازه. إنَّه بنيةٌ تشغل مقولتها الإمامة، وتستقي معانيها من أنوار الوحي والنُّبوَّة، وتسري في أخاديدها أطياف العصمة وأهدافها، وتنشر نفسها على ساحة رياض الإنسانيَّة في تجلٍ من داعٍ، لبس رداءَ ذُلِّ العبوديَّة، وتجلبب بالمسكنة والضَّعف، وتلوَّن بكينونة الفقْر والحاجة إلى المطلق المقتدر سبحانه تعالى، وطلبَ العفو والرَّحمة والفوز بالأمل والموعود. إنَّه نصٌّ يكشف عن سلالم من الأعماق والبناء تحتاج إلى تدبُّر وقراءة، ومستويات من الأسرار والإنباء تشدو إلى فهم وإدراك، ومراحل من السلوك والارتقاء تقف على إظهار.

المحور الثَّاني

نحو النَّصِّيَّة ـ الكشف عن خرائط التَّكوين النَّصِّيّ

الممارسة والإجراء في "دعاء السِّمات"

المدار الأوَّل: نصِّيَّة الاتّساق المعجميّ ـ نظم العلاقات الدّلاليَّة:

لا ريبَ في أنَّ النُّصوص تتحدَّث عن عوالمها المخصوصة بالتَّكوين، إنَّها حكاية عن نشأتها الأولى تلك التي لا بديلَ لها عند مراجعة تاريخها الكونيّ ـ التَّكوينيّ، إنَّها لحظة انفجار دوال أحداثها، ورموز معانيها، وإشارات ماهياتها، وهي عبارة من ثقافة مفرداتها ـ شبكة معجميّاتها وعلاقاتها ومجالاتها، وكيفيّات انخراطها جدلاً في أنظمة التَّراصف تحت عناية من هندسة التَّوليف.

لقد صوَّر لسانيّو النَّصّ أنَّ الوحدات المعجميَّة لنصّ ما، على الرغم من مقولة انفتاحها، تشكّل "ذاته المترابط،... وفي حالة النُّصوص الكبيرة تشكّل عدّة سلاسل من التَّناظر [بمعنى: التَّكافؤ الدَّلاليّ بمفهومه الواسع] شبكة التَّناظر للنصّ الكامل، التي تُعدّ بدورها كفاءة تفسيريَّة حاسمة لتماسك النَّصّ"(٦٣). وانتهوا إلى مسلَّمة: "أنَّ دلالة "النُّصوص تنشأ... من الاتفاق بين ملامح /سمات/ دلاليَّة معيّنة للوحدات المعجميَّة الواردة في نصّ ما"(٦٤). وعقدوا آمالاً على أنَّ هذه "السِّمات المعجميَّة بوصفها مؤشّرات لأجه ترابط النَّصّ"(٦٥) من الشُّؤون المهمَّة التي لا غنى عنها مطلقاً في عمليَّة فهم النَّصّ واستيعابه، يقول "مرجوت هاينه مان": إنَّ فهم النَّصّ يقوم على أساس إدراك علاقات دلاليَّة للنصّ... وعلى الرغم من أنَّ النُّصوص تتركَّب من وحدات غير متجانسة، فإنَّها توجَّه على مستويات دلاليَّة متجانسة، وتشكِّل بذلك كُلّاً دلاليّاً، ومن الممكن أن يُدرك هذا الكُلّ النَّصِّيّ الدَّلاليّ عبر وحدات معجميَّة معيَّنة تتوزَّع عبر النَّصّ، وتتشابك بعضها مع بعض من خلال علاقة التَّطابق والتَّشابه"(٦٦).

ولعلَّ هذا الإجراء كان هو الدافع من اتخاذهم، أعني: النَّصِّيّين، تعريفات للنَّصّ تقوم على محاور التَّوصيف المعجميّ والتَّساوق الدَّلاليّ السِّيميّ، يقول "جريماس: إنَّ النَّصّ يمكن أن يُفهم على أنَّه نظام من أوجه الانسجام لسمات مختلفة خاصَّة بأوجه التَّساوق المعجميّ الموجودة في النَّصّ،..."(٦٧).

من البدهي إذن، إذا كانت مفاهيم النَّصّ تقوم على "إمكانات وصل سينتجماتيَّة محقّقة"(٦٨). أن يتّخذ لسانيّو النَّصّ من الوحدات المعجميَّة أدوات لتحليل النَّصّ ووسائل لتفسيره، وبيان قيمه التَّرابطيَّة، وتعيين شؤونه الشَّبكيَّة والسَّبْكيَّة. ولذلك تمظهر الاتّساق المعجميّ، عند أغلبهم، ترابطاً نصّيّاً في نحو النَّصِّيَّة، على نوعين أساسين، هما(٦٩):

أولاً: التَّكرار Recurrence. ثانياً: التَّضام Collocation.

وعلى امتياز مخصوص بالتَّوصيف أنَّ "الوحدات المعجميَّة تتّصف في ذاتها بالرَّبط حيث إنَّ بعضها يفسِّر البعض [كذا] الآخر، وليست في حاجة ضروريَّة لأداة ربط تربط بينها"(٧٠)، بمعنى أنَّها "خالصة لا تفتقر إلى عنصر نحويّ يظهرها"(٧١)، وهو أمر يشكِّل به النِّظام المعجميّ مزية اعتدال مع النِّظام النَّحويّ حين تحتاج الرّوابط والإحالات النَّحويّة إليها مرجعاً بيانيّاً، دون المفردات المعجميَّة.

١. نحو نصِّيَّة التَّكرار Recurrence:

ترسل المدوَّنة النَّصِّيَّة(٧٢) نتائج قراءتها: تأصيل التَّكرير، وتعيين ما لأشكاله من إمكانات وطاقات نصِّيَّة، وما لوظائفه من فوائد وقيم في نحويّات الدَّلالة من التَّوكيد، وإنعاش الذَّاكرة؛ وبوصفه وسيلة من سائل التَّرابط/التَّماسُك النَّصِّيّ، ناهيك به أداة تحليليَّة وتفسيريَّة تعين محلّل النَّصّ على فهمه، وفكّ شفراته وكشف ما فيه من علاقات متراصّة، ترسله رصداً على وجوه لا تختلف مفاهيمها سوى بالتَّسمية، والرَّدّ على الأصل المنظور قراءةً:

الأوَّل: يتبنَّى عمومه في: على المستوى النَّحويّ، والمفاهيميّ، والمعجميّ(٧٣).

والوجه الثاني: بوصفه أحد أنماط الإحالة، ويسمّيه: "الإحالة التَّكراريَّة"(٧٤).

والوجه الثالث: بحصره في توصيفه القائم على المستوى المعجميّ وعلاقات نظامه الدَّلاليَّة، تحت مفهوم من "مبدأ الإعادة"(٧٥) اللُّفظيَّة، الذي يعني على نحو من اتفاق: "شكل من أشكال التَّماسُك المعجميّ، يتطلَّب إعادة عنصر معجميّ، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصراً مطلقاً، أو اسماً عامّاً"(٧٦). وتتوزَّع نصِّيَّة التَّكرار هذه على أنماطٍ معيَّنة من علاقات النِّظام المعجميّ تحيل على مفهومه السابق أقساماً: وهي(٧٧): ١. التَّكرار المحض/الكُلِّيّ، وهو نوعان بحسب المرجع: إمَّا أن يكون المسمَّى واحداً، أو متعدِّداً، ٢. التَّكرار الجزئيّ، ٣. المرادف، ٤. شبه التَّكرار، ٥. تكرار لفظ الجملة.

ولنا من بعدُ أن نقف على موارد نحو إجراء نصِّيَّة التَّكرار المعجميّ في "دعاء السِّمات"، لنجد فيه منها ما يؤدِّي وظائفها الأولى في نتائج نهائيَّة من محصِّلات التَّوظيف والتَّطريز في التَّرابط/والاتساق المعجميّ، وهي كثيرة في شبكة النَّصّ الدُّعائيّ وعلاقاته الدَّلاليَّة، سواء أكانت على مستوى تلك الأنماط والوجوه التي ذُكِرت، أم على غيرها من التَّراكيب والأساليب والجمل المتماسكة، إذ لا يجد القارئ وجهاً واحداً من نصوص التَّكرار الاتّساقيّ إلا وتناظرت معه عنوانات معجميَّة أخر متضافرة في الفقرة النَّصِّيّة نفسها، كأنَّها بنية متراصفة متماسكة لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى،

ولأنَّها كذلك سنعتمد على بيان شواهد نصِّيَّة التّكرار المعجميّ بعنوان مخصوص في المنجز النَّصِّيّ، مع لمح ما يتضافر معها، في مكان وقفه المفاهيميّ المخصوص بالتَّوصيف، مرةً على المستوى العلائقيّ المعجميّ القريب، وأخرى على المستوى النَّصِّيّ البعيد، وذلك على نحو ما يأتي:

أولاً. تكرار الوحدات المعجميَّة أنفسها:

وسلوك التَّوظيف في التَّكوين الإرساليّ والتَّحليل النَّصِّيّ فيه أن يُرصَد ما يُكرَّر أو يُعاد من العناصر، أو الوحدات/المفردات المعجميَّة أنفسها بلا تغيير أو تحويل، إعادة مباشرة صريحة، ونجد منه في "دعاء السِّمات" على منازل ومستويات:

أ . على المستوى النَّصِّيّ، وعلاقاته المعجميَّة القريبة:

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "وَبِجَلالِ وَجْهِكَ الْكَريمِ اَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَاَعَزِّ الْوُجُوهِ الَّذى عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْاَصْواتُ، وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخافَتِكَ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّمآءَ اَنْ تَقَعَ عَلَى الْاَرْضِ إلاّ بِإذْنِكَ، وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْاَرْضَ اَنْ تَزُولا، وَبِمَشيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ..."[٧٨].

إذ أُعِيدَت في هذا النَّصّ معجميَّة الوحدة النَّصِّيَّة نفسها، وعلى أنساق فِئَويّة مختلفة: اسميَّة منها، وفعليَّة مكرّرة، وهي: "الوجوه"، ثلاث مرات، بنسق اسمي جمعيّ، بلا تغيير، وكذا مفردة "الأرض، والسماء"، ثلاث مرات لكلّ منهما مع جمعيَّة الثانية "السماوات"، وكذلك النَّسق الفعليّ: "تمسك" إذ ذُكِرَ مرتين. وهي دعوة من نصّ تشهد وحداته المعجميَّة تكريراً على ترابطه وتماسكه في مرجعيَّة واحدة؛ إنَّها انتقائيَّة رأسيَّة تقع على عتبة من الاختيار، على الرّغم من إمكان إيفاء غيرها فيه لو حصلت، من مثل العلاقات والأنواع المعجميَّة الأُخَر، ناهيك بالإحالة النَّظميَّة الضَّميريَّة التي يمكن أن تعوّض عنه كثيراً، فضلاً عن الاقتصاد اللُّغويّ والإيجاز لو اُختيرت: كافتراض: (اَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَاَعَزِّها الَّذى عَنَتْ لَهُ)، و١. (تُمْسِكُ السَّمآءَ اَنْ تَقَعَ عَلَى الْاَرْضِ، وأن تنزولا، إلاّ بِإذْنِكَ) ٢. (تُمْسِكُ السَّمآءَ اَنْ تَقَعَ عَلَى الْاَرْضِ إلاّ بِإذْنِكَ، وَتُمْسِكُهما أن تزولا).

ولكنَّ إيثار كونيّات المعجميَّة أنفسها تكراراً وإعادة محضّة، برهان صادق على ما في التّكرار المعجميّ من منهجيَّة مقصودة هدفها المعاني والمقاصد التي شرّعتها إعادة الوحدة نفسها بلاغاً توكيديّاً، فضلاً عن دفع اللبس في التكرير الأخير ـ (خلقت السماوات الأرض، إذ لو كانت خلقتهما)؛ لضاع المعنى، لبعد المرجع ـ دون سواها، وترابطاً نصّيّاً واتّساقاً معجميّاً، واستمراريَّة دلاليَّة، إنَّها: إعادة الوحدة المعجميَّة ثمَّة، خصوصيَّة علَّمت نفسها على شدّ النَّصّ إلى ذاته قضيةً في معنى التَّعظيم، وإظهار الخضوع بجهة إنسانيَّة.

ومن ذلك أيضاً قوله "φ": "وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً... وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ، وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ، وَقَدَّرْتَها فِي السَّماءِ مَنازِلَ فَأَحْسَنْتَ تَقْديرَه، وَصَوَّرْتَها فَأَحْسَنْتَ تَصْويرَها،... وَدَبَّرْتَها بِحِكْمَتِكَ تَدْبيراً فَأَحْسَنْتَ تَدْبيرَها، وَسَخَّرْتَها بِسُلْطانِ اللَّيْلِ وَسُلْطانِ النَّهارِ،..."(٧٩).

ولعلَّ في هذه الفقرة النَّصِّيَّة التالية لسابقتها من منطق الاختيار على منجز لغويّ دون الغائب منه من العلاقات الرَّأسيَّة، وإن تمثَّلت بعضها فيها صراحة، ما لا تفي به منطقيَّات النُّظم العلائقيَّة النِّظاميَّة لو حوَّل مدار التَّراصف من الإعادة المعجميَّة بصراحة الفعل: (خلقتَ، جعلت، وأحسنت)، وكذلك الاسم: (الشَّمس)، (والقمر)، أنفسهما، و(السلطان)، إلى افتراض: (جعلتها، والضّمير يعود على مرجعيَّة (الشّمس)، وجعله والمرجع (القمر)، وبسلطان اللَّيل والنّهار)، بيد أنَّ العدول الاستعماليّ من الاحتمالات هذه والأنماط واللوائح الأُخَر، على الرغم من وقوعها في دائرة الانتقاء إلى الاختيار المخصوص بالتَّكرار ثمَّة. إشعارٌ بإظهار القدرة والقوة والمنعة.

لقد صوَّرت هذه السِّمة النَّصِّيَّة: الإعادة المعجميَّة، في النَّصّ ثمَّة امتيازها في التَّكوين والإرسال كما هو الشَّأن في الأنماط الأُخَر من خصوصيَّة التَّكوين، بل لعلَّها أعلى قيمة بالاختيار دون سواها من القوائم الرأسيَّة؛ وذلك لأنَّها أوَّلاً محلّ الإنشاء والتَّكوين، بل قوام النَّصّ بها وعليها، بلا تعويض، ولأنَّها ثانياً توحي، ليس بشدّ أواصر النَّصّ وتلاحم أجزائه ومكوِّناته فحسب، بل لأنَّ في المفردة المعجميَّة تصريحاً ما ليس في سواها لو كانت بتلك التي تحتاج إليها تفكيراً وتفسيراً في النَّظر إلى مرجع وإحالة.

لقد عقدت (جَعَل، وخَلَقَ، وأحسَنَ)، وسائر الكلمات المكرَّرة صراحة في هذا النَّصّ، معالم شبكة نصِّيَّة النَّصّ، وانطلقت منها في تكوين مفاهيم النَّصّ التَّرابطيَّة على نحو معجميَّة، تنأى بنفسها عن قوائمها الاستبداليَّة الرأسيَّة الأُخَر، لتنتهج سبيلاً سواء في منطقها الاختياري المنجز بسلوك الإعادة الصَّريحة، والهدف إنشاء مستوًى من الاتّساق المعجميّ؛ ليضفي على النَّصّ سمةَ استمراريته الدَّلاليَّة والقصديَّة الإبلاغيَّة.

ومن ذلك أيضاً قوله "φ": "وَبِبَرَكاتِكَ الَّتي بارَكْتَ فيها عَلى اِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في اُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبارَكْتَ لإسْحقَ صَفِيِّكَ في اُمَّةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِيَعْقُوبَ إسْرآئيلِكَ في اُمَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِحَبيبِكَ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَاُمَّتِهِ،..."(٨٠).

إنَّ إعادة "بركات" في هذا النَّصّ، باللُّغة المعجميَّة فيها من سمات الإحيائيَّة ما ليس في سواها، لو عوَّض عنها الاقتصادُ اللغويُّ بوسيلة ترابطيَّة أخرى كالاكتفاء بالعطف، كذا:

(الَّتي بارَكْتَ فيها عَلى اِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في أُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

و... لإسْحقَ صَفِيِّكَ في أُمَّةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ،

و... لِيَعْقُوبَ إِسْرآئيلِكَ في أُمَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ،

و... لِحَبيبِكَ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَّتِهِ).

هذا على مستوى الوعد الإيحائيّ، فكيف بها، أعني: الإعادة المعجميَّة، ثمَّة وسيلة داعمة للمعنى من أن يتداخل في إلباس، فبدلاً من أن يلجأ المتلقِّي الاعتيادي إلى دفع هذا بالتَّفكير الطويل، وبما يأتي من فصل في الداخل والمدخول، كانت إعادة الوحدة المعجميَّة المتطابقة تماماً هي الوسيلة الدافعة لهذا الإلباس على المتلقِّي، فضلاً عن كونها السّابكة لأواصر النَّصّ، الضامنة لانسجامه.

وكذلك قوله "φ": "**وَبِمَجْدِكَ الَّذى تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ، وَلِاِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ خَليلِكَ مِنْ قَبْلُ في مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَلِإسْحقَ صَفِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بِئْرِ شِيع، وَلِيَعْقُوبَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بَيْتِ إيل، وَاَوْفَيْتَ لِإبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِميثاقِكَ، وَلِإسْحقَ بِحَلْفِكَ، وَلِيَعْقُوبَ بِشَهادَتِكَ،...**"(٨١).

وقد يتّخذ منهج الإعادة المعجميَّة من التَّعدُّد ما يصل إلى إعادة التَّركيب النَّصِّيّ نفسه، كما في قوله "φ": "**اَللّهُمَّ، وَكَما غِبْنا عَنْ ذلِكَ، وَلَمْ نَشْهَدْهُ، وَآمَنّا بِهِ وَلَمْ نَرَهُ، صِدْقاً وَعَدْلاً نسألك اَنْ تُصَلِّىَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَاَنْ تُبارِكَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَتَرَحَّمَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، كَاَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلى اِبْراهيمَ وَآلِ اِبْراهيمَ، اِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ فَعّالٌ لِما تُريدُ وَاَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ**"(٨٢).

فبدلاً من ذلك كان بالإمكان أن يأتي التَّركيب النَّصِّيّ، بلا إعادة نصِّيَّة، هكذا:

(أن تصلِّيّ، وأن تباركَ، وترحَّمَ على محمد وآله)، نظير قوله في النَّصّ نفسه: "**صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلى اِبْراهيمَ وَآلِ اِبْراهيمَ،..**".

ولكن شتان ما بين الإعادة والإيجاز، والدُّعاء سلوك قائم على الإطناب والتَّكرير والتَّكثير، لقد كثَّفت إعادة الوحدات المعجميَّة أنفسها، وكثرت من وحي التَّوسُّل والتَضرُّع، فضلاً عن التَّبرُّك بالأسماء الكريمة: (النَّبي إبراهيم وآله "β"، النَّبي محمد وآله "ϑ")، ولقد كان يمكن أن يكون منطق الافتراض السَّابق، ويعمل على شدّ عناصر النَّصّ، ثُمَّ يفضي منه إلى نصِّيَّة النَّصّ بالتَّماسُك، ولكن نصِّيَّة الاتّساق المعجميّ بالتَّكرار ثمَّة، كانت لها من واقعيَّة التَّرابط النَّصِّيّ، فضلاً عن النَّحو الدَّلاليّ ما ليس بسواها أجمل.

وقد تتكرَّر وسيلة التَّكرار المعجميّ في "دعاء السِّمات" بالوحدة نفسها في أساليب عالية النَّصِّيَّة؛ ذلك لامتدادها النَّصِّيّ، كما في أسلوبيَّة الشَّرط، فمِن ذلك مثلاً قوله "φ":

"اللَّهُمَّ اِنّى أسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْاَعْظَمِ الْاَعَزِّ الْاَجَلِّ الْاَكْرَمِ الَّذى ١. اِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ اَبْوابِ السَّمآءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، ٢. وَاِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضآئِقِ اَبْوابِ الْاَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ، ٣. وَاِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى العُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، ٤. وَاِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْاَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، ٥. وَاِذا دُعِيتَ بِهِ عَلى كَشْفِ الْبَأساءِ وَالضَّرّاءِ انْكَشَفَتْ،..."(٨٣).

فبنائيَّة النَّصّ قائمة على الدُّعوة بالاسم العظيم الأعظم، وهو أمر داعٍ إلى التَّكرار دلالة وغايةً ووسيلة للتماسك والتَّرابط النَّصِّيّ بدايةً، ولكن لو كانت هذه الاستراتيجيَّة التَّكراريَّة المعجميَّة الأسلوبيَّة بغير الإعادة النَّصِّيَّة لكانت، هكذا:

وإذا دُعِيْتَ به على:

١. مغالق أبواب السّماء...
٢. مَضآئِقِ أَبْوابِ الْاَرْضِ...
٣. العُسْرِ لِلْيُسْرِ...
٤. الْأمْواتِ لِلنُّشُورِ...
٥. كَشْفِ الْبَأساءِ وَالضَّرّاءِ...

النَّصّ المكرَّر ــ الهدف

أقول: لقد تعيَّنت إعادة نصِّيَّة فعل الشَّرط على نسق واحد ـ مفردات معجميَّة تركيبيَّة في خمس مرات، بلَه ما في أنظمة الإحالة النِّظاميَّة التي سنأتي على تصوّراتها لاحقاً؛ وذلك لشأنيَّة القصد الدَّلاليّ الذي يتجسَّد في النَّصّ الدُّعائيّ، وهو ما في الاسم العظيم من قوة في عظمة، وقدرة مطلقة، إنَّها تلك الإعادة النَّصِّيَّة التي أنبأت عن نسق من التَّراصف؛ لتحقيق نتائج قوامها ما في التَّكرار المعجميّ وارتباطاته الدَّلاليَّة من هدف وغاية. لقد أسهمت الإعادة المعجميَّة ثمَّة، برصف الجواب بصاحبه الاقترانيّ، وليس من وسيلة تعمل على إنجاز ذلك إلا بما في الاختيار النَّصِّيّ المقصود، وهو التَّكرار المعجميّ بإعادة الوحدات المعجميَّة والأسلوبيَّة أنفسها.

ب ـ التَّكرار المعجميّ على مستوى فقرات امتداد النَّص الكُلِّيّ:

وقد نجد في "دعاء السِّمات" من نصِّيَّة التَّكرار المعجميّ ما تمتدّ أنساقه على مستوى فقرات النَّصّ الكُلِّيّ، إذ يأتي منه ما يأخذ شكلاً محوريّاً في النَّصّ، ابتداءً وانتهاءً؛ وذلك للتأكيد عليه تارةً، ولترابط السَّابق باللاحق تارةً أخرى؛ تحقيقاً للتماسك النَّصِّيّ ـ الاتّساق المعجميّ، وقد يأتي أيضاً؛

ليكوّن إبلاغيَّة قصديَّة تترشّح معانيها الدَّلاليَّة بسبب ما يكمن في شأن المذكور المكرّر نفسه، وما له من أهمِّيَّة.

فمِن الأوَّل مثلاً، قوله "φ": "اللّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْاَعْظَمِ الْاَعَزِّ الْاَجَلِّ الْاَكْرَمِ... وَأسْأَلُكَ اللّهُمَّ بِمَجْدِكَ الَّذى كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ... وبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْاَعْظَمِ الْاَعَزِّ الْاَجَلِّ الْاَكْرَمِ وَبِمَجْدِكَ الَّذى تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ،... وَأسْأَلُكَ بِكَلِمَتِكَ الَّتي غَلَبَتْ كُلَّ شَيْء، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذى تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً..."(٨٤).

فنصّيَّة "أسألك"، وكذا القسم: "بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْاَعْظَمِ الْاَعَزِّ الْاَجَلِّ الْاَكْرَمِ"، المكرّرة ثمَّة، ليست قريبة إحداهما من الأخرى، بل إنَّ الثانية تسبقها نصّيَّة فقرات كثيرة وطويلة، وكذلك الثالثة من الثانية، ناهيك بالأولى، ولا شكَّ في أنَّ سمة التّكرار ثمَّة لها أثر في ترابط النَّصّ واتّساقه المعجميّ السابق منه باللاحق، واستمرار دلالته، بالسّؤال والتَّضرُّع.

إنَّه مطلب في "دعاء السِّمات" شرعت محاوره النّدائيَّة الدُّعائيَّة إلى تحقيق غاياتِها القصديَّة، فكان تكرار الاسم الأعظم تضرُّعاً، طريقها لإنجازه، ومنهجاً في امتيازه، إذ لا سبيل سواه. إنَّه وحدة نصّيَّة معجميَّة لها بالإعادة من التَّصريح ما يشع النَّصّ به نوراً يتّخذ منه الراصد مجازاً إلى قراءة ترابط أواصر عناصره المعجميَّة، وتماسك وحداته التّكوينيَّة والإرساليَّة.

ولعلَّ في التّكرار المعجميّ ـ إعادة الوحدة النَّصّيَّة ما يشدّ النَّصّ ترابطاً معجميّاً إلى ما في المسألة من شأن عظيم وكرامة كبيرة في المسؤول به، كما في تكرار اسم النَّبي موسى "φ" في قوله "φ": "وَاَسْأَلُكَ اللّهُمَّ بِمَجْدِكَ الَّذى كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ، فَوْقَ اِحْساسِ الْكَرُّوبينَ، فَوْقَ غَمآئِمِ النُّورِ، فَوْقَ تابُوتِ الشَّهادَةِ في عَمُودِ النّارِ وَفي طُورِ سَيْنآءَ،... وبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْاَعْظَمِ الْاَعَزِّ الْاَجَلِّ الْاَكْرَمِ وَبِمَجْدِكَ الَّذى تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ فى طُورِ سَيْناءَ... وَبِمَجْدِكَ الَّذى ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلى قُبَّةِ الرُّمّانِ،... وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذى تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً، وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً، وَبِمَجْدِكَ الَّذى ظَهَرَ عَلى طُورِ سَيْنآءَ فَكَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ،..."(٨٥).

أقول: لو تركنا أغلب مفاصل التّكرار المعجميّ المكوِّنة لشبكة النَّصّ ومعاقده التَّرابطيَّة الواردة في هذا النَّصّ الكريم وامتداداتها على مستوى الفقرات الطّويلة، وهي كثيرة جداً، لنأخذ منه إعادة صراحة الاسم الكريم النَّبي "موسى" "φ"، لوجدنا: أنَّ إعادة الوحدة/التشخيصيَّة هنا ليس فيها من الاحتمالات والإمكانات اللُّغويَّة سوى نظامها الإحاليّ وعودة الضَّمير حين الاستبدال، وهو أمر مستبعد هنا بدليل الاختيار المعجميّ في النَّصّ المنجز، ولأنَّ الاسم ليس له من دلالة معجميَّة بديلة عنه، بمعنى أنَّه لا يدخل في أسباب الرّبط إلا بقيمته الصَّريحة؛ ولأنَّه ليس له المستويات المعجميَّة

والعلاقات الدَّلاليَّة الأخرى ما لسواه صراحةً، صار مورد التَّكرار المعجميّ وقراءة إعادة المفردة النَّصِّيَّة نفسها فيه حتميّاً بلا تغيير؛ ذلك لأنَّ التَّغيير سيُحدث خللاً وتفكّكاً لعرى النَّص ومفاصله، بَلَه ضياع دلالته ومعناه القصدي، والمطلوب اتساقه، وترابطه، واستمرار دلالته، وغرضه.

لقد وثَّقت الإعادة الصَّريحة والمباشرة للاسم العلم النَّبي "موسى "φ" " ثمَّة مطلباً في تماسك النَّصّ واتساقه المعجميّ أوَّله بلاحقه، ولاحقه بأوَّله؛ وذلك لأنَّ معنى نصِّيَّة النَّصّ تقوم عليه قضية، فحديث الفقرات النَّصِّيَّة نصٌّ عليه تقوم، وبه تتوكَّد أصولها التَّرابطيَّة ومجامع اتساقه المعجميَّة، ناهيك بما يوحي به الاسم من دلالات تقابل دلالاته المركزيَّة.

ثانياً: التَّكرار الجزئيّ ـ قيم الاشتقاق في تحليل التَّماسك النَّصِّيّ ـ الاتّساق المعجميّ:

وفي هذا التَّوصيف النَّصِّيّ توظيف ليس بالإعادة المحضة، بل في كونها جزءاً منها، على نحو جزئيّ، "وهو تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة"(٨٦)، وهو أقرب إلى نوع الاشتقاق إذ "يشترك عنصران معجميّان في مورفيم معجميّ واحد"(٨٧).

وهذا النَّوع من التَّكرار المجمعيّ كثير الورود أيضاً في "دعاء السِّمات"، بل لعلَّه أكثر من سابقه، لما فيه حرّيَّة التَّوظيف والاستعمال والانتقال من صيغة إلى أخرى، وتحويل الفئات الرَّأسيَّة، وسمة الجذر اللُّغويّ واحدة متّحدة.

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "**اللَّهمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، اَلَّذي إذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وإذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ، وإذَا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وإذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وإذا دُعيتَ بِهِ عَلى كَشْفِ الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ،...**"(٨٨).

وكذلك قوله "φ": "**وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ وَقَدَّرْتَها فِي السَّمآءِ مَنازِلَ فَأَحْسَنْتَ تَقْديرَها، وَصَوَّرْتَها فَأَحْسَنْتَ تَصْويرَها، وَأَحْصَيْتَها بِأَسْمآئِكَ إِحْصآءً، وَدَبَّرْتَها بِحِكْمَتِكَ تَدْبيراً، فأَحْسَنْتَ تَدْبيرَها...**"(٨٩).

وقوله "φ": "**وَبِآياتِكَ الَّتي وَقَعَتْ عَلى أَرْضِ مِصْرَ بِمَجْدِ الْعِزَّةِ وَالْغَلَبَةِ، بِآياتٍ عَزيزَةٍ، وَبِسُلطانِ الْقُوَّةِ، وَبِعِزَّةِ الْقُدْرَةِ، وَبِشَأْنِ الْكَلِمَةِ التَّامَّةِ، وَبِكَلِماتِكَ الَّتي تَفَضَّلْتَ بِها عَلى أَهْلِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ،... وَبِنُورِكَ الَّذي قَدْ خَرَّ مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْناءَ، وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّها الْأَرْضُ، وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ،... وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عُرِفَتْ لَكَ بِهِ الْغَلَبَةُ دَهْرَ الدُّهُورِ، وَحُمِدْتَ بِهِ فِي السَّماواتِ وَالْأَرَضينَ، وَبِكَلِمَتِكَ كَلِمَةِ الصِّدْقِ الَّتي سَبَقَتْ لِأَبينا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَذُرِّيَّتِهِ بِالرَّحْمَةِ. وَأَسْأَلُكَ بِكَلِمَتِكَ الَّتي غَلَبَتْ كُلَّ شيء، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً، وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ عَلى طُورِ سَيْناءَ فَكَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ.... وَبِبَرَكاتِكَ الَّتي بارَكْتَ فيها عَلى إبْراهيمَ...**"(٩٠).

أقول، لنبدأ بتحليل خصائص تكوين النَّصّ الأخير، ابتداءً، لنجد فيه من التَّصريف الاشتقاقيّ ما يمثّله الجذر اللُّغويّ، على نحو ما يأتي: (والعِزة، وعزيزة، وعزّتك)، و(الغلبةِ، وغلبتَ)، (الكلمة، بكلماتك، وبكلمتك، فكلّمتَ)، (بركاتك، باركتَ). فهذه القوائم التَّصريفيَّة ماسكة للنصّ على نحو دلاليّ، يسعى بنفسه إلى نحو اتّساقه المعجميّ؛ لأنَّ الذِّهن قد علقت فيه إمكاناتها المضمرة والمعلنة؛ لأنَّها من رحيق معنويّ واحد، وجذر لغويّ واحد، وهذه بلا شكّ دواع إلى إنشاء ترابطه النَّصّيّ.

وكذلك القول في النَّصّ الذي قبله مباشرة، فضلاً عمَّا فيه من تساوق النِّظام النَّحويّ متوازناً مع النِّظام المعجميّ، إذ لا يتّصف المكرَّر الأخير فيه منه وقفاً لغويّاً إلا بمقولة النَّصِّيَّة المعجميَّة المكرَّرة وضعاً، فإذا تركنا الإحسان منها، نجد: (قَدَّرْتَها، تَقْديرَها، صَوَّرْتَها، تَصْويرَها وَأَحْصَيْتَها، إِحْصآءً، وَدَبَّرْتَها، تَدْبيراً)، تمثّل جذورها أموراً سابقة على تكوين لاحقة به إنجازاً في توصيف من النَّسق الفعليّ الأوَّل إلى النَّسق الاسميّ ثانياً؛ إنَّ المكرَّر تحوَّل إلى مصدر؛ ليكون شاملاً، فضلاً عن اتساقه للنظم الأوَّل حاوياً لذلك النَّسق الفعليّ ثانياً، لقد أسهمت هذه الثُّنائيَّة المعجميَّة المكرَّرة في جذورها ، المتّحدة في دلالتها، المختلفة في صيغها وفئاتها على نصِّيَّة النَّصّ اتّساقاً معجميّاً داعياً إلى تماسكه وترابطه الرَّصفيّ والدَّلاليّ.

أمَّا النَّصّ الأوَّل من هذه الأمثلة، فلنا فيه تأمُّل بتخطيط يسير، هكذا:

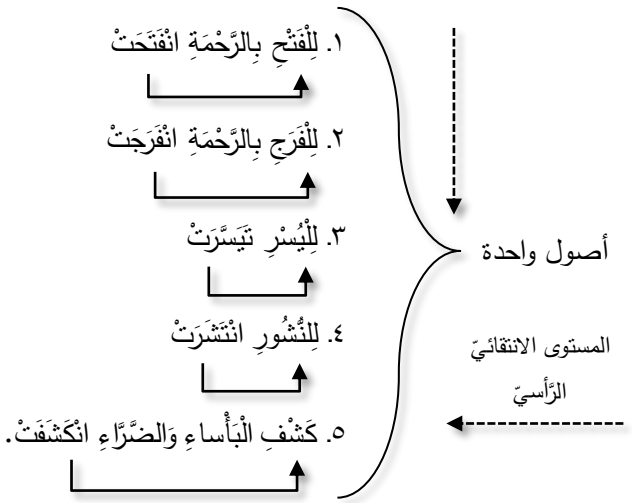

وأقول: على الرّغم من إظهار هذا النَّصّ نفسه بطرائق متعدِّدة من توصيف النَّصِّيَّة: التَّماسُك والتَّرابط والاتساق، فإنَّ لمح النَّظر فيه هو نصِّيَّة التّكرار المعجميّ بتوصيفه الجزئيّ ـ الاشتقاقيّ، تماسكاً معجميّاً نصّاً.

لقد أجرى الاشتقاق، أصول مادَّة، وتحوُّل صيغة، بين وحدات هذا النَّصّ توقّعاً فعليّاً عالياً، ليس من المادَّة المعجميَّة المكرَّرة التي ترجمت ذلك التَّوصيف النَّصِّيّ ـ تماسكاً معجميّاً فحسب، بل بما في النَّظم الذي اتّخذ من المادّة المعجميَّة نفسها صفة التَّوصيف في جدلٍ مستمر، بمعنى آخر: أنَّ تعلُّق الشَّرط أجرى لنفسه أن لا يكون تحقيقاً له إلا بما في منطق الاختيار من نصِّيَّة التّكرار المعجميّ والجذر اللُّغويّ، والتَّحوُّل من إدراكه تصوُّراً إلى إنجازه في النَّسق الفعليّ منه إجراءً، فالاسم (الفتح، الفرج، اليسر، النُّشور، الكشف)، عبارة عن أنساق ثابتة في النَّظر الدَّلاليّ، تحرَّكت، وهي متّصفة بإنجازها، فعلاً مطاوعاً مطيعاً امتثالاً للقدرة الإلهيَّة، وانقياداً لشأنيَّة الاسم العظيم: (انفتحت، انفرجت، تيسَّرت، انتشرت، انكشفت). هذا من جانب، ومن جانب آخر أنَّ نصِّيَّة التّكرار المعجميّ أعادت نفسها على نحو عكسيّ، فبدلاً من تصدير فئة الفعل، عملت على تصدير قائمة الاسم، على العكس من النَّصّ الثاني المتقدِّم، وهو قوله "φ": "وَقَدَّرْتَها فِي السَّمآءِ مَنازِلَ فَاَحْسَنْتَ تَقْديرَها، وَصَوَّرْتَها فَاَحْسَنْتَ تَصْويرَها وَأحْصَيْتَها بِأسْمآئِكَ إحْصآءً، وَدَبَّرْتَها بِحِكْمَتِكَ تَدْبيراً، فأحْسَنْتَ تَدْبيرَها". حتَّى أنَّه يعطي مسوِّغاً وطريقاً للتلقِّي في أنَّ سمة التَّوصيف الاسميّ، سوف يأخذ إجراءه تحقيقاً، فضلاً عن التَّوكيد، في اشتقاق شيء منه يعمل على إنجاز ذاته الدَّلاليّ. إنَّ مواثقة الاتّساق المعجميّ في هذا النَّصّ والذي قبله، تشي بأنَّ التَّراصف المعجميّ شبكة من الدَّوال ذوات أصل واحد عملت على إنتاج ذاتها معانيَ في نصّ، وتبليغ مقاصدها في إرسالٍ تماسكت أجزاؤه استمراراً دلاليّاً بلا قطع، إنَّها استراتيجيَّة تخطيطيَّة اتّخذ منها النَّصّ أن يصف نفسه من قوة التَّرابط المعجميّ ما يماثل سبيكة لا تعرِّف عن نفسها إلا بما في نصِّيَّة التّكرار المعجمي الجزئيّ من إجراء وهدف وغاية.

ثالثاً: التّكرار المعجميّ بنصِّيَّة التَّرادف:

ومن الإعادة المعجميَّة ما يأتي، وقد يأخذ ملمحه مقولة "التَّرادف" بين الدَّوال النَّصِّيَّة، وهو العلاقة الدَّلاليَّة بين متكثِّر في اللَّفظ، والمعنى واحد، وهو على نوعين: صوتيّ دلاليّ، ودلاليّ فحسب(٩١).

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ، وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ... وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ

بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً..."[٩٢]. وكذلك قوله "φ": "وَيَوْمَ فَرَقْتَ لِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ، وَفِي الْمُنْبَجِساتِ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ في بَحْرِ سُوفٍ، وَعَقَدْتَ ماءَ الْبَحْرِ في قَلْبِ الْغَمْرِ كَالْجِجارَةِ، وَجَاوَزْتَ بِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ الْحُسْنى عَلَيْهِمْ بِما صَبَرُوا، وَأَوْرَثْتَهُمْ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتي بارَكْتَ فيها لِلْعالَمينَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَمَراكِبَهُ فِي الْيَمِّ"[٩٣]. وكذلك قوله "φ": "وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ،.. وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلى قُبَّةِ الرُّمَّانِ..."[٩٤]. وكذلك قوله "φ": "وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً، وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ عَلى طُورِ سَيْناءَ فَكَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ. وَبِطَلْعَتِكَ في ساعيرَ، وَظُهُورِكَ في جَبَلِ فارانَ بِرَبَواتِ الْمُقَدَّسينَ،..."[٩٥].

ففي النَّصّ الأوَّل وقع التَّرابط المعجميّ بقيم "التَّرادف" بين (مَجارِيَ، وَمَسابِحَ)، و(صنعتَ، خلقتَ وجعلتَ)، وفي النَّص الثاني، بين (فَرَقْتَ لِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ، وَجَاوَزْتَ بِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ، والْيَمِّ)، وفي النَّصّ الثالث، بين (تَجَلَّيْتَ، وظَهَرَ). وفي النَّص الرابع، بين (تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ، ظَهَرَ عَلى طُورِ سَيْناءَ)، وَ(بِطَلْعَتِكَ، وَظُهُورِكَ).

لقد شخَّص التَّكرار المعجميّ اختياراً من القوائم الرَّأسيَّة والعلاقات الدَّلاليَّة ـ التَّرادف. شخَّص في هذه النُّصوص بعداً معرفيّاً ليس فحسب بآليَّة الإعادة وعنوان دلاليّ معجميّ آخر، بل في كونه مورداً من موارد التَّطريز المعجميّ الصَّوتيّ والدَّلاليّ في النَّصّ أيضاً، وذلك كي لا تجري الأنساق الدَّلاليَّة على وتيرة واحدة، وإنَّما بتنوُّعات أخر من تخيّر القوائم الرَّأسيَّة الخاصَّة بالهدف النَّصِّيّ والاتّساق المعجميّ.

ومن المعلوم أنَّ إعادة المعنى بطرائق مختلفة من نظم العلاقات الدَّلاليَّة له من التَّأثير على النَّفس ما ليس بها إعادة نصِّيَّة مباشرةً، ولذلك تكون إعادة الوحدة المعجميَّة بلفظ آخر بالتَّرادف له من قيم الامتياز ما يعلو في نصِّيَّة الاتّساق المعجميّ نفسه قوة من جانب، وينحو به من جانب آخر إلى نحو يتعلَّق بالجمال النَّسقيّ الإبداعيّ، ناهيك بالإعلاميَّة.

صحيح أنَّ (الفرق) له إعادة بمعنى جدلي جدولي في (جاوز)، و(البحر)، عنوانه الدَّلاليّ الآخر بلفظ (أليمّ)، و(التَّجلّي) له علاقة (بالظُّهور)، وهكذا سائر الأمثلة، ولكن صحيح أيضاً أنَّ اللّفظتين ليستا على صوت وجرس وصيغة واحدة، ولا جدلَ في أنَّ القلوب تأنس باللَّفظ الذي فيه نوع من الجدّة، بل تتعدَّى قيمه إلى منطق رأب الصدع الذي يحصل بالإعلاميَّة النَّصِّيَّة بالإعادة المحضة/المباشرة، ولذلك يكون الاختلاف السَّطحيّ مع التَّوافق الدَّلاليّ له سمة من التَّرابط، ما يضفي حلاوة وجمالاً على التَّماسك المعجميّ النَّصِّيّ، وهو ما تحقّق في هذه النُّصوص.

رابعاً: التَّكرار المعجميّ بنصِّيَّة التَّضمين والاشتمال:

ومن الوسائل الأخرى التي تضفي على النَّصّ تماسكاً معجميّاً إعادة اللَّفظ بدلالة التَّضمين، والاشتمال، إذ يكون الثاني داخلاً في الأوَّل؛ وذلك لأنَّه أعلى منه في التَّصنيف، فضلاً عن كونه من أهمّ علاقات السّيمانتيك التَّركيبيّ(٩٦).

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ،... وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزينَةً وَرُجُوم لِلشَّياطينِ"(٩٧).

وقوله "φ": "وَبِكَلِماتِكَ الَّتي تَفَضَّلْتَ بِها عَلى أَهْلِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَأَهْلِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتي مَنَنْتَ بِها عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْتِطاعَتِكَ الَّتي أَقَمْتَ بِها عَلَى الْعالَمينَ"(٩٨).

وقوله "φ": "وبِبَرَكاتِكَ الَّتي بارَكْتَ فيها عَلى إِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبارَكْتَ لِإِسْحاقَ صَفِيِّكَ في أُمَّةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِيَعْقُوبَ إِسْرائيلِكَ عليه السلام في أُمَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِحَبيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ في عِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَأُمَّتِهِ"(٩٩).

ففي النَّصّ الأوَّل مثَّلت كلمة (الكواكب) إطلاقاً عامّاً يندرج بضمنه ذكر (نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزينَةً وَرُجُوم). وكذلك مفردة (أهل)، بوصفها المحوري، وتكرارها في النَّصّ الثاني، التي لا يتحدَّد معناها إلا بإضافتها إلى مخصِّص لها، يعمل على بيانها وتوضيحها، ولقد تنوّع بحسب الإنجاز على قيم دلاليَّة: (السماء والأرض، والدنيا والآخرة)؛ بوصفها وحدات مقترنة. ومثلها معجميَّة (أمَّة) في النَّصّ الثالث. إنَّ توظيف محورٍ معجميّ يتحدَّد معناه باقتران نظميّ من قائمة دلاليَّة أخرى، ثُمَّ إعادة ذلك التَّوظيف بالوسيلة نفسها تكراراً، إنَّ ذلك حتماً ليضفي على النَّصّ من سمات الاتّساق المعجميّ الكثير، ويدعو إلى أن تكون خصائصه الدَّلاليَّة على مستوى عال من الاستمراريَّة الإبلاغيَّة، وهو أمر لا يتحقّق مداه الإرساليّ والإجرائيّ إلا بذلك.

خامساً: التَّكرار المعجميّ بنصِّيَّة الألفاظ العامَّة:

ومن الوسائل التي تحدّدها المدوَّنة النَّصِّيَّة في الاتّساق المعجميّ ما يُسمَّى: الألفاظ العامَّة، تلك التي لها إحالة معمّمة، وهي مجموعة قصيرة محدّدة تعمل على ترابط النَّصّ، وتماسكه معجميّاً، من مثل أسماء الأماكن، والإنسان، وغيرها(١٠٠).

ولقد نجد من ذلك ما في قوله "φ": "وَبِرَحْمَتِكَ الَّتي مَنَنْتَ بِها عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْتِطاعَتِكَ الَّتي أَقَمْتَ بِها عَلَى الْعالَمينَ"(١٠١).

وكذلك في قوله "φ": "وَأَسْأَلُكَ اللّهم بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ، فَوْقَ إِحْساسِ الْكَرُوبِيّينَ، فَوْقَ غَمائِمِ النُّورِ، فَوْقَ تابُوتِ الشَّهادَةِ،..."(١٠٢).

ففي النَّصّ الأوَّل نجد أنَّ إعادة معجميَّة (العالمين)، وهو من الكلمات العامة الشاملة، بعد كلمة (خلق)، أفضى على النَّصّ اتساقاً معجميّاً، وكذلك لفظة (فوق)، وتكرارها في النَّصّ الثاني، وهي من الكلمات التي لا يتحدّد معناها أيضاً، فضلاً عن عموماً إلا بالإضافة والاقتران، والإحالة التي تضفي بها على النَّصّ تماسكاً وترابطاً معجميّاً يصبو إلى تحقيق غرض النَّصّ، وهدفه الدَّلاليّ.

نصِّيَّة التَّكرار في جامعيَّة نصّ، نظرة ثانية:

قد تظهر وسيلة أو وسيلتان من نصِّيَّة التّكرار المعجميّ في النَّصّ؛ تكوين اتساقهِ، ولكن أن تتجلَّى فيه، وقد تمثّلت حيازته على نصّيَّة التّكرار جمعاً وتكاملاً، فذلك يعني أنَّه في امتياز متفرد يسمو به التّكوين، خصائصَ وجماليّات، من النَّصّ الإبداعيّ.

وهذا ما نجده في قوله "φ": "**اَلَّذي إِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ، وَإِذَا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى كَشْفِ الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ،...**"(١٠٣).

ففي هذا النَّصّ من جامعيَّة التّكرار المعجميّ، أنماطاً متعدِّدة، وأشكالاً متنوِّعة على نهج وصفها المتقدِّم، ما يمكن إجماله على نحو ما يأتي:

١. الكلمة نفسها: (الرحمة). وبالأسلوب، مجمع كلميّ: (إذا دُعِيتَ بهِ). ٢. بالاشتقاق والجزئيّ منه: (الفتح، افتحت. الفرج، انفرجت. يسر، تيسَّرت. نشور انتشرت. كشف انكشفت). ٣. التَّرادف، دلالة وصوتاً: (مغالق، مضائق)، و(انفتحت، انفرجت، انكشفت). ودلالة: (تيسرت)، مع ما قبلها. ٤. الكلمة الشاملة والعامة: (أبواب)، و(مغالق، مضائق)، وأعلى منهما: (العسر)، و(البأساء والضَّراء)، بل لعلَّ النَّظم المعجميّ الأخير جامعيَّة النَّصّ الدّلاليّ ابتداء وانتهاء، لأنَّ كلّ ما تقدّم عليه يمكن أن يندرج تحته معنًى ودلالةً.

ولعلَّ فيه أيضاً نمطاً **سادساً** من التّكرار، وهو ما يُسمَّى "**التّكرار الجراماتيكي**، وهو عبارة عن تكرار لنظم الجمل بكيفيَّة واحدة، أي: تكرار للطريقة التي تُبنى بها الجملة، وشبه الجملة من اختلاف الوحدات المعجميَّة التي تتألَّف منها الجمل،... حيث تُبنى بشكل متوازٍ"(١٠٤). ولا شكَّ في أن "تكرار نظم الجملة يُعدّ نوعاً من التّوازي،... لأنَّ التّوازي مركّب ثنائيّ التّكوين أحد طرفيه لا يُعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر ـ بدوره ـ يرتبط مع الأوَّل بعلاقة أقرب إلى التَّشابه،..."(١٠٥).

وهذا ما يتجلَّى واقعاً في نصّ التَّمثيل، إنَّه بناء على نسق بتكرار نظميّ تشهد عليه براعته النصية تلك التي سلّمت بنفسها أن تأخذ من الترابط النصي عنواناً لخصائصها وسماتها الدَّلاليَّة. ولقد نأتي على بعض من خصائص نحو التَّكوين النَّصِّيّ لهذا النَّصّ أيضاً في نصِّيَّة التَّضام المعجميّ، إن شاء الله تعالى.

٢ . نحو نصِّيَّة التَّضام Collocation:

لا يقوم توصيف الاتّساق المعجميّ على نحو كُلِّيّ في الدِّراسة النَّصِّيَّة، إلا بملحظ "التّضام" المعجميّ، وهو الوجه الثاني في التَّحليل النَّصِّيّ لوسائل النِّظام الدَّلاليّ ـ المعجميّ الذي تتقوم به شبكة النَّصّ ومعاقدها الدَّلاليَّة، بل هو الهدف من تصدير ما نتائجه مفاهيم التماسك/التَّرابط المعجميّ، وتحديد مسافات نصِّيَّة النَّصّ بحسبه، وهو عبارة عن "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[١٠٦]. ولقد مثَّلته المذكَّرة النَّصِّيَّة[١٠٧] أنماطاً، وذلك بنحو: الارتباط بموضوع معيَّن، والتَّضاد، أو التَّقابل، وعلاقة الجزء بالكلّ، والانتماء إلى مجموعات، سواء أكانت منتظمة بجهة، أم ليست كذلك.

بين نحوي: التَّكرار التَّضام:

تدور في خَلَدي جدليَّة سؤال: لماذا أفرد علماء لغة النَّصّ نصِّيَّة التَّكرار بخصوصيَّة وأنماط، عن خصوصيَّة نصِّيَّة التَّضام وأنماطه؟، وهل كان بالإمكان إدراج هذه التَّفرُّعات في نصِّيَّة دلاليَّة معجميَّة واحدة في توصيف التَّماسُك/التَّرابط المعجميّ؟، وهل هما كذلك؟.

تبدو قراءة النَّصِّيين لمنظومة التَّكرار المعجميّ على قيمها الوظائفيَّة والإجرائيَّة، تبدو أنَّها معتمد النَّصّ على نفسه، بمعنى أنَّها لا تحتاج إلى مزيدٍ من تأمُّل، أو كبير عناية من التَّفكير في إدراك التَّناظر الدَّلاليّ ومستويات التَّكافؤ المعنوي بين مكوِّنات النَّصّ، فالمفردة النَّصِّيَّة مرةً نفسها مكرَّرة، أو متشابه جزئيّاً على نحو اشتقاق بما يرتبط بها، وهكذا، أمَّا نصِّيَّة التَّضام المعجميّ، فالأمر فيه يختلف، وذلك لصعوبة ما فيه من العلاقات المعجميَّة والأزواج التي لا تحتكم إلى معيار معيَّن؛ ناهيك بأنَّ المحلّل النَّصِّيّ يحتاج فيه إلى معرفة مسبقة بالعلاقات التي تحكمها، وهذا ليس بالأمر الهين دائماً، فضلاً عن فهم سياق النَّصّ المترابط، وذلك بخلق سياقات تتماسك فيها العناصر المعجميَّة في التَّمثيل النَّصِّيّ[١٠٨].

وفي "دعاء السِّمات" إجراء من نصِّيَّة التَّضام المعجميّ، ما يتجلَّى وقد أخذ أصنافه المنجزة في التَّحليل النَّصِّيّ، وذلك على نحو ما يأتي:

أولاً: التَّضام بموضوع معيَّن، وعالم النَّصّ/الخطاب:

إذا كان عالم النَّصّ هو "الموازي المعرفيّ للمعلومات المنقولة والمنشطة بواسطة استعمال النَّصّ"(١٠٩)، وإذا كانت من مكوّناته البنائيَّة العلاقات المعجميَّة(١١٠)، فهي حتماً إنّما تضمن انتشار نفسها في نظم مخصوصة بالتَّوارد والاتّساق. ومن هذه الموارد ارتباط بعض المفردات بموضوع نصّ ما، على نسق مخصوص بالاستعمال، مصاحبة له مصحابة سياقيَّة وقفيَّة ما أن ذُكرت فيه تلك المفردات حتَّى جذبت ما يتوارد معها من العلاقات المعجميَّة التي تقترن بها، مشكِّلة بذلك عالماً مخصوصاً بالتَّوارد الدَّلاليّ في سياق النَّصّ تحت مفهوم "الارتباط بموضوع معيَّن،... وما يُطلق عليه... علاقة التَّلازم الذِّكري"(١١١)، و"التَّجاور الدَّلاليّ"(١١٢).

وعند قراءة "دعاء السِّمات" نجد فيه فقرات دعائيَّة تضمَّنت موضوعاتٍ كثيرة أرسلت نفسها بياناً بعلاقات دلاليَّة متصاحبة على نحو ما، يمكن أن تتوارد مع سواها من السِّياقات الأخر، ولكن سياق النَّصّ أحدث بها معرفةً "بوسطة علاقة التَّذكُّر والاسترجاع"(١١٣)، تدعو إلى التَّرابط الدَّلاليّ.

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": **"وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزينَةً وَرُجُوم لِلشَّياطينِ، وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ، وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ، وَقَدَّرْتَها فِي السَّماءِ مَنازِلَ..."(١١٤).**

وكذلك قوله "φ": **"وَأَسْأَلُكَ اللّهم بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ، فَوْقَ إِحْساسِ الْكَرُّوبِيّنَ، فَوْقَ غَمائِمِ النُّورِ، فَوْقَ تابُوتِ الشَّهادَةِ فِي عَمُودِ النَّارِ، وَفِي طُورِ سَيْناءَ، وَفِي جَبَلِ حُوريبَ فِي الْوادِ الْمُقَدَّسِ، فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَفِي أَرْضِ مِصْرَ بِتِسْعِ آياتٍ بَيِّناتٍ"(١١٥).**

ففي النَّصّ الأوَّل تواردت مفردات متصاحبة على نحو يستدعيها موضوعها النَّصِّيّ والمفاهيميّ الدَّلاليّ، وذلك في (الليل والظلمة، والسكن، والنور والنهار، والنشور والإبصار، والشمس والضياء، والقمر والنور، والكواكب والمجاري والمسابح، والمنازل...). وكذلك النَّص الثاني، في (تكليم موسى، وما يكتنفه سياقه من المقام والظروف، ولا سيما: التابوت، والشهادة، والنار، وطور سيناء، والوادي المقدَّس، والبقة المباركة...)، وهي مفردات انسجمت واتّسقت متواردة معه في الذّاكرة الطويلة، حتَّى كأنَّها فراشات، ما إن ذكر لفظ النبي موسى "φ" حتَّى انجذب إليه، ناهيك بالمعرفة الدِّينيَّة والقرآنيَّة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ

فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٦).

وكذلك سياقات التَّوارد المعجميّ بالتَّضام وعلاقاته الوجوديَّة والمعرفيَّة والقرآنيَّة في النَّصّ الأوَّل. ولعلَّنا نأتي عليه، قراءةً أخرى أيضاً، في توصيفٍ نصِّيّ آخر من "التَّعالق النَّصِّيّ"، إن شاء الله تعالى.

ثانياً . التَّضام المعجميّ بنصِّيَّة المقابلة/التّضاد:

يؤسِّس التَّضاد علاقة اتّساق معجميَّة كاملة بوسيلة التَّضام بين مكوِّنات النَّصّ، وهي علاقة ليست أحاديَّة الجانب، بل علاقة مركَّبة جامعة للمعنى وضدّه أو ما يقابله، وعلى مستويات متعدِّدة، ولقد يصل بعضها إلى شدّة في حدّ، والتَّضام بالمقابلة "كلما كان حاداً... كان أكثر قدرة على ترابط النَّصّ، والتّضاد الحاد قريب من النقضين عند المناطقة،..."(١١٧). إنَّ هذه العلاقات المعجميَّة... "تخلق في النَّصّ ما يُسمَّى بالتَّضام، فشعور المتكلّمين ـ كما يرى جون لوينز ـ يتّجه إلى اعتبار أحد المتقابلين في التّضاد ذا معنى إيجابيّ، والآخر ذا معنى سلبيّ، ليس فقط المتكلِّم، بل والمتلقّي أيضاً عند استقباله للنص، ولهذا تصنع مثل هذه العلاقات تماسكاً نصّياً بدلالاتها المتناقضة،..."(١١٨).

وفي "دعاء السِّمات" نجد استعمال المقابلة والتَّضاد ماثلاً في قوله "φ": "**اَلَّذي إِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ، وإِذَا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وإِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ،...**"(١١٩).

وكذا قوله: "φ": "**وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا... وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً،... وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ،... وَسَخَّرْتَها بِسُلْطانِ اللَّيْلِ وَسُلْطانِ النَّهارِ...**"(١٢٠).

وكذلك قوله "φ": "**وَبِكَلِماتِكَ الَّتي تَفَضَّلْتَ بِها عَلى أَهْلِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَأَهْلِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ،... وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ، وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ، وَانْزَجَرَ لَهَا الْعُمْقُ الْأَكْبَرُ،... وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عُرِفَتْ لَكَ بِهِ الْغَلَبَةُ دَهْرَ الدُّهُورِ، وَحُمِدْتَ بِهِ فِي السَّماواتِ وَالْأَرَضِينَ...**"(١٢١).

ففي هذه النُّصوص الثلاثة من العلاقات المعجميَّة بنصِّيَّة المقابلة ما جعلها عنواناً للتماسك المعجميّ، وفي غرض من الإحاطة بالمعنى والدَّلالة حتَّى يبدو النَّصّ فيها قطعة معنويَّة قد سبكت فيه أفكاره بمقابلة تنحو بنفسها نحو الشّمول الدَّلاليّ، وهذا ما يتجلَّى في النَّصّ الأوَّل بين (مَغالِقِ/

لِلْفَتْحِ، ومَضائِقِ/ لِلْفَرَجِ، والْعُسْرِ/ لِلْيُسْرِ). وفي النَّصّ الثاني بين (السماء/ الأرض، والظلمة/ النور، والليل/ النهار، ومشارق/ مغارب)، وفي النص الثالث بين (السماوات/ الأرض، والدنيا/ الآخرة).

لقد سعت نصِّيَّة المقابلة في هذه النُّصوص إلى خلق حالة من الشُّعور بتعظيم الخالق سبحانه، وإظهار ما تحيطه قوته وقدرته تعالى اسمه على هذه المعاني التي جسَّدتها المفردات النَّصِّيَّة المتقابلة منها، ليس على نحو التَّصريح فحسب، بل في التَّلميح كذلك كما في (الموت/ النُّشور)؛ لأنَّ الأخير يقتضي الحياة، وهذه مقابلة حادَّة بينها وبين الموت، وكذلك في قوله (وانخفضت لها السماوات/ انزجر لها العمق الأكبر)، والأخير، مفهومه الأرض.

إنَّ نسيج النَّصّ ثمَّة، وهو في حركة الانتقال من إظهار معنى، ثُمَّ استدعاء ضدّه ومقابله، يعيد إلى خواطر القلوب دهشتها وآمالها، بين انبساط معنًى وانقباض ضدّه، وهكذا في حركة ثنائيَّة دائرة حتَّى كأنَّ النَّصّ فيه من تمثيل الحياة ما عنوانه تجلياً التَّضام المعجميّ بالمقابلة.

ومن التَّضام بالمقابلة ما نجده وقد أخذ طريقة أسلوبيَّة خاصَّة في التَّكوين بين ثنائيَّة: النَّفي والإثبات، فضلاً عن إعادة المعنى، كما في قوله "φ": "اَللّٰهُمَّ، وَكَما غِبْنا عَنْ ذلِكَ، وَلَمْ نَشْهَدْهُ، وَآمَنّا بِهِ وَلَمْ نَرَهُ، صِدْقاً وَعَدْلاً..."(١٢٢).

فالمقابلة وإعادة المعنى بين الغيب والشهادة بنسق فعليّ: (غبنا، ولم نشهده)، والإيمان والرؤية: (آمنا = الغيب، ولم نره = الشهادة)، هذا التَّكرار مع الإعادة والتَّضاد بين النَّفي والإثبات صراحة وضمناً يضفي على النَّصّ اتّساقاً وترابطاً معجميّاً كبيراً. وكم من تضافر وظائفيّ دلاليّ لوسيلة نحويَّة ووحدة معجميَّة في شبكة هذا النَّصّ، فعلى حين كانت الأداة إشارة تعبِّر عن وظيفتها الدَّلاليَّة والأسلوبيَّة العامَّة، كانت المادَّة المعجميَّة في مستواها المعنويّ المكثَّف تتكفَّل في تكوين مظاهر التَّضاد والتَّقابل النَّصِّيّ؛ لاتخاذه حلقة في سلسلة التَّماسُك النَّصِّيّ النَّحويّ.

ثالثاً: التَّضام المعجميّ بإدارة المجموعات المتواردة:

ترتبط المجالات الدَّلاليَّة والعلاقات المعجميَّة تحت مجموعات، تشكّل نمطاً من التَّماسك المعجميّ في النَّصّ، وتحقّق نتيجة هذا الارتباط سمة نصِّيَّة النَّصّ على المستوى المعنويّ، وقيمه العليا، ولقد نجد من ذلك في "دعاء السِّمات" مستويات من هذا التَّوارد المعجميّ على معنى عام، وذلك مثلاً في الأسماء والصِّفات الإلهيَّة المُقسَم بها، وأسماء الأنبياء وصفاتهم.

فمِن الأوَّل مثلاً قوله "φ": "اللَّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الأَجَلِّ الْأَكْرَمِ،..."(١٢٣).
وكقوله "φ": "وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَريمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ، اَلَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ،... وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ... وَبِمَشِيَّتِكَ الَّتي دانَ لَها الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِها

السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ،... وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ [الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ..."(١٢٤). وكذلك قوله "φ": "وَبِنُورِكَ الَّذي قَدْ خَرَّ مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْناءَ، وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْريائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ،..."(١٢٥).

أمَّا النوع الثاني، فقوله "φ": "وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ، وَلِإِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ في مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَلِإِسْحاقَ صَفِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بِئْرِ شِيَعٍ، وَلِيَعْقُوبَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بَيْتِ إيلٍ، وَأَوْفَيْتَ لِإِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِميثاقِكَ، وَلِإِسْحاقَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِحَلْفِكَ، وَلِيَعْقُوبَ بَشَهادَتِكَ، وَلِلْمُؤْمِنينَ بِوَعْدِكَ، وَلِلدَّاعينَ بِأَسْمائِكَ فَأَجَبْتَ"(١٢٦). وكذلك قوله "φ": "وَبِبَرَكاتِكَ الَّتي بارَكْتَ فيها عَلى إبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبارَكْتَ لِإِسْحاقَ صَفِيِّكَ في أُمَّةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِيَعْقُوبَ إِسْرائيلِكَ في أُمَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِحَبيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ في عِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَأُمَّتِهِ"(١٢٧).

ولا ريبَ في أنْ تتوارد هذه الأسماء والصّفات في ترتيب متضام في مجموعة مخصوصة بالتَّوصيف الدَّلاليّ، كالمجموعة الأولى من الأسماء والصِّفات الإلهيَّة. والمجموعة الثانية من أسماء الأنبياء "β"، فالسِّمات: علاقات وعلامات، و"دعاء السِّمات" سمة من أسمائهِ، أي: من أسماء هذا الدُّعاء؛ وذلك لأنَّه حوى من الأسماء ما لا يعلم شأنها وعظمتها إلا الله تعالى، ولذلك وَرَدَ في آخر هذا الدُّعاء، قوله "φ": "اللَّهُمَّ بِحَقِّ هذَا الدُّعاءِ، وَبِحَقِّ هذِهِ الْأَسْماءِ الَّتي لا يَعْلَمُ تَفْسيرَها وَلا تَأْويلَها وَلا باطِنَها وَلا ظاهِرَها غَيْرُكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَرْزُقَني خَيْرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ،..."(١٢٨).

ولعلَّ مثله أيضاً ما يكون تحت ترتيب من المخلوقات أيضاً كـ(الفلك) ومكوِّناته وأركانه وأجزائه التي تشكّل سمات شبكته الكونيَّة وعناصره التَّكوينيَّة، وذلك في قوله "φ": "وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزينَةً وَرُجُوم لِلشَّياطينِ. وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ، وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ،..."(١٢٩).

رابعاً: التَّضام المعجميّ بنصِّيَّة التَّلاؤم:

من التَّضام المعجميّ ما يعقده التّلاؤم اللفظيّ بين المكوّنات النَّصِّيَّة بمفهومه البلاغيّ: في كون "الكلام في معنى يصحّ معه معنى واحد من عدّة معانٍ، فيختار منها ما بين لفظه وبين بعض الكلام ائتلاف وملاءمة"(١٣٠). وهذه الوسيلة من الكم والكيف لها ما يترشّح بها التَّضام المعجميّ سمة عليا تنحو بنفسها نحو مقولات الاتّساق النَّصِّيّ في "دعاء السِّمات".

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "إذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وإذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ.. وإذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وإذا دُعيتَ

بِهِ عَلى كَشْفِ الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ... وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَريمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ، الَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْواتُ، وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخافَتِكَ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا"(١٣١).

ففي هذا النَّصّ تتجلَّى المناسبة والملاءمة والتَّوافق اللَّفظيّ مؤلِّفة بذلك اتساقاً معجميّاً موجّهاً من علاقة التَّضام والتّساوق، وهذه العلاقة هي التَّناسب الدّلاليّ بين (مغالق والأبواب، والمضائق والفرج، والموت والنشور، والعنت والوجوه، والخضوع والرقاب، والخشوع والأصوات، ووجل والقلب والخوف، والسماء والوقوع). فهذه العلاقات قد حقّقت نسبة من التَّوافق ما يتلاءم النَّصّ بها تلاؤماً يحقّق بها أعلى سمة من نصِّيَّة النَّصّ وسبكه المعجميّ. أقول هذا على حساب ترك منطق التّحوُّل من الحقيقة إلى المجاز، وإلا يبقى مجال النَّظر فيه من التَّحليل ما تشفع به قرائن التَّوصيف والعدول من الاستعمال الحقيقيّ إلى نحو العدول بالمجاز والاستعارة إبداعاً، وهذا له محلّ آخر، رُبَّما سنأتي عليه إن شاء الله تعالى.

المدار الثاني: نصِّيَّة الاتّساق النَّحويّ ـ نحو أَزمَّة النَّصّ النَّظميَّة:

إذا كانت المعاني والدَّلالات التي تموج في نصّ ما، ذرات تسبح في فضاء بلا توقُّف، وإذا كانت "سلاسل التّناظر تبلّغ السامع في أثناء عمليَّة الفهم أوجه التَّرابط الدَّلاليّ حيث تتوحَّد فيها دلالة وحدات المعجم التي يمكن أن تتعدَّد معانيها"(١٣٢)، فإنَّ ملاكها/زمامها هو ذلك السَّياق النَّظميّ العلائقيّ، إنَّه ذلك القائد الفاعل الذي يعتمل في ضوء آليّاته التَّجريديَّة؛ لتوجيهها نحو رسالتها التي عقدت أغراضها نفسها على تكوينها وإنشائها، وهو نفسه ذلك النِّظام الواصف، وبمبدأ مرجعيّ، الذي يحلِّل نفسه، ويفسِّر لنا وظائفه التي اتّخذت منه أوامرها وما أفضت إليه من نتائج قيمها في التّكوين السِّياقيّ ـ النَّصّ. ومن هنا يرى لسانيّو النَّص "أنَّ النُّصوص بوصفها وحدات أساسيَّة للاتصال اللُّغويّ تُطْبَع ابتداءً، وبشكل أساسيّ بالوسائل اللُّغويَّة المشكَّلة لها. ولذلك يُعدّ وصف الأبنية السَّطحيَّة للنصوص وبخاصَّة وصف النِّظام العلاقيّ النَّحويّ أساساً جوهريّاً لإدراك النَّصِّيَّة بشكل مطلق"(١٣٣).

النِّظام العلائقيّ النَّحويّ إذن، هو المقياس الذي تتحدّد في ضوئه نصِّيَّة التَّرابط، وفاعليّات التَّماسُك النَّصِّيّ، ومعرفة إمكاناته المتعدِّدة هي المحدِّد الرئيس لذلك التَّكوين النَّظميّ قرباً وبعداً من النَّصِّيَّة، يقول "فان دايك": "إنَّ علم النَّحو... يوضّح ما التَّكوينات اللَّفظيَّة التي تشكِّل جملاً مفهومة في لغة ما، وما التَّكوينات التي لا تشكِّل جملاً مفهومة"(١٣٤).

ولهذا جعل حمولة ذلك التَّكوين النَّصِّيّ على أصول من نحو تفعيل مقولات النِّظام القواعديّ نفسه، قائلاً: "ويحدث ذلك من خلال مقولات النِّظام والقواعد (النَّحويّة)، فتتحدّد إمكانات ربط الكلمات في جملة ما من خلال إمكانات ربط المقولات النَّحويَّة التي تتبعها الكلمات أو المركَّبات،..."(١٣٥).

وفي ضوء ذلك الإدراك والفهم المعرفيّ لجوانب "التَّماسُك النَّحويّ... على أنَّه المقولة المركزيَّة للتحليل في المستوى النَّحوي؛... الذي يرتكز على علاقات الرَّبط النَّحويَّة والدَّلاليَّة بين جمل النَّصّ"(١٣٦). حدَّد لسانيُّو النَّصِّيَّة هذه المقولات والروابط التي تضفي على جمل النَّصّ المتتابعة سبكاً نحويّاً خاصّاً بثُلَّة من القواعد والمعايير النَّحويَّة الوظائفيَّة، وهي(١٣٧): الإحالة، والعطف/الروابط، والتَّعريف، والحذف، والاستبدال.

فهذه القواعد النَّظميَّة النَّحويَّة التي تؤدِّي وظائف تركيبيَّة مخصوصة على مستوى الجمل النَّصِّيَّة بمنزلة الخيط والنِّظام بالنِّسبة للعلاقات المعجميَّة والدَّلاليَّة، وعلى الرّغم من خصائصها التَّجريديَّة، فإنَّه لا يستغني عنها أيّ نصّ، يتّصف بالنَّصِّيَّة وينحو بنفسه نحو التَّكوين والإبلاغيَّة التَّواصليَّة، إنَّها الروح الذي يسري في جسد النَّصّ، ويمده بحياة القبول والقصد.

١. نحو نصِّيَّة الإحالة "REFERENCE":

تظهر عناية نحويّو النَّصّ بنظم الإحالة ومستوياتها المتعدِّدة مدى اهتمامهم بتوصيف خصائص النَّصّ المترابط: تحليله وفهمه تفسيره، بل الوقوف على براعته في تحقيق التّماسك النَّحويّ؛ بوصفه مبدأ النَّصِّيَّة الجوهريّ، ولا غرو، فالإحالة عبارة عن نظام علائقيّ تقني محكم مخصوص بمفهوم ثنائيّ بدائليّ بين عناصر النَّصّ وإشاراته، يقول "دي بوجراند": "الإحالة REFERENCE هي العلاقة بين العبارات والأشياء objects والأحداث events والمواقف situations في العالم الذي يدلّ عليه بالعبارات... ذات الطابع البدائليّ alternative في نصّ ما إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النَّص،..."(١٣٨).

وهذه العبارات هي مجموعة من الألفاظ الكنائيَّة التي "لا تملك دلالة مستقّلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أُخَر مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النَّصّ، وهي تقوم على مبدأ التَّماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام دفعاً للإلباس، وسوء الفهم والإشكال، يقول "دي بوجراند": "والألفاظ الكنائيَّة من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة. وبهذا تختلف الألفاظ الكنائيَّة عن هذه العبارات بطرق نظاميَّة،... فللألفاظ الكنائيَّة من حيث التَّطبيق مدى أوسع، وهي من الناحية النِّسبيَّة خلو من أيّ محتوى ذاتيّ inherent"(١٤٠).

وتتمثَّل هذه الكنايات بنحو من: الضَّمائر، وأسماء الإشارة والموصولات، وأدوات الرّبط والمقارنة... وهي بهذه الخصائص الوظائفيَّة تنقسم على قسمين رئيسين(١٤١): ١. إحالة داخل اللُّغة/النَّصّ، وتُسمَّى: إحالة نصِّيَّة. ٢. إحالة خارج اللُّغة/النَّصّ، وتُسمَّى: إحالة مقاميَّة. والإحالة النَّصِّيَّة تنقسم على قسمين أيضاً: أ . إحالة على سابق، وتُسمَّى: إحالة قبليَّة؛ لأنَّها تشير إلى عنصر مذكور سابقاً في النَّصّ، وهي أكثر الأنواع فاعليَّة في الكلام. ب ـ إحالة على لاحق، وتُسمَّى: بعديَّة، وهي تحيل على عنصر إشاريّ مذكور بعدها في النَّصّ، ولاحق عليها.

عند قراءة "دعاء السِّمات" نجد فيه أنَّ نظم الإحالة ومستوياتها العلائقيَّة النَّصِّيَّة قد تمثَّلت بإجرائيَّة "كم" كبير هيمن على أركان النَّصّ أجمعه، وعلى أنحاء من تنميطها النَّوعيّ والكيفيّ، يمكن بيانه على ما يأتـي:

أولاً: الإحالة النَّصِّيَّة ـ بنية النَّص الدَّاخليَّة:

ـ الإحالة بالمضمر على مرجع سابق ـ "الإضمار بعد الذِّكر":

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ، اَلَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْواتُ، وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخافَتِكَ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ، وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا. وَبِمَشيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ... وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً،... وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ، وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ، وَقَدَّرْتَها فِي السَّماءِ مَنازِلَ فَأَحْسَنْتَ تَقْديرَها، وَصَوَّرْتَها فَأَحْسَنْتَ تَصْويرَها، وَأَحْصَيْتَها بِأَسْمائِكَ إِحْصاءً، وَدَبَّرْتَها بِحِكْمَتِكَ تَدْبيراً فَأَحْسَنْتَ تَدْبيرَها،.."(١٤٢).

لقد انتظم النَّصّ حبّات لؤلؤ، بخيطِ الإحالة على سابق: المضمر النّصِّيّ، ولأنَّ هذا على ألوان تجلَّت في النَّصّ مختلفةً، محقّقة بها صبغة من التَّماسك/التَّرابط بين عناصره، مؤلفةً طيفاً من الإبداع فيه، لنركز على **المضمر الغائب المتّصل** منه ثمَّة، لنجده بأشكال على ما يأتي:

١. الإحالة على سابق يطابقه ويناسبه مرجعاً تماماً. ٢. الاعتماد على المرجع المعجميّ/الدَّال اللِّسانيّ في تفسير العنصر النَّصِّيّ الوظيفيّ ـ الضَّمير. ٣. فهم النَّصّ، عناصره، اعتماداً على جهة الإرسال والبثّ. ٤. التَّرميز اللُّغويّ والاقتصاد في الأداء؛ بسبب الإحالة والإشارة على سابق دون الإعادة والتَّكرار المباشر المحض والمشتق. ٥. إضفاء طابع من التَّكامل: صفة النَّصِّيَّة، على عناصر

النَّصّ؛ بسبب التَّرابط/التَّماسُك النَّحويّ والدَّلاليّ بين لاحقه وسابقه. ويمكن بيان ذلك وتفسيره بهذا المخطّط اليسير أيضاً، هكذا:

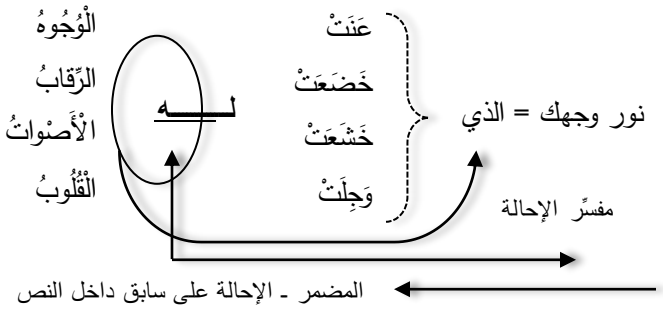

ولعلَّه من التَّعدُّد المرجعيّ الموحّد ما يظهر على هذه التَّصوُّر، هكـذا:

١

٢

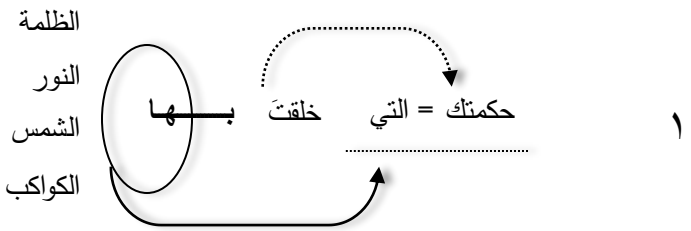

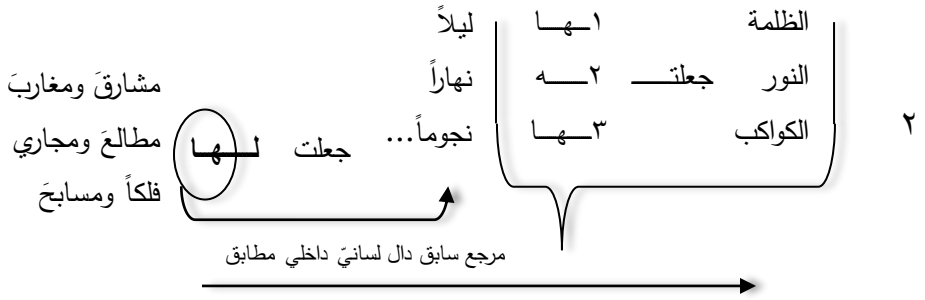

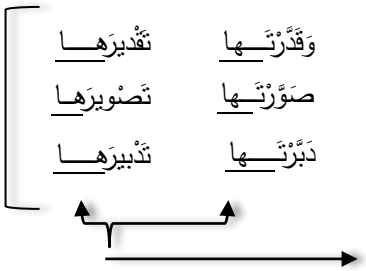

جامعة واسط
مجلة كلية التربية

٣	مرجع سابق دال لسانيّ	وَقَدَّرْتَـــها	تَقْديرَهـــا
		صَوَّرْتَـــها	تَصْويرَهـا
		دَبَّرْتَـــها	تَدْبيرَهـــا

تعدّد الإحالة على سابق

ومثل ما تقدَّم من تعدُّد الإحالة وما فيها من أثر لاتساع المعنى والدَّلالة على سابق أيضاً قوله "φ": "وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ، وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ، وَانْزَجَرَ لَهَا الْعُمْقُ الْأَكْبَرُ، وَرَكَدَتْ لَهَا الْبِحارُ وَالْأَنْهارُ، وَخَضَعَتْ لَهَا الْجِبالُ، وَسَكَنَتْ لَهَا الْأَرْضُ بِمَناكِبِها، وَاسْتَسْلَمَتْ لَهَا الْخَلائِقُ كُلُّها، وَخَفَقَتْ لَهَا الرِّياحُ في جَرَيانِها، وَخَمَدَتْ لَهَا النّيرانُ في أَوْطانِها،..."(١٤٣).

أقول: تضافرت مكوِّنات النَّصّ ثمَّة على نحو من جدل دائر مستمر حقّق مداه الإجرائيّ ما سعى إليه إنشاؤه في التَّكوين النَّصِّيّ، فمرةً يحدو تصوُّره إلى قول: لولا هذه العناصر المستقلَّة المجرَّدة ـ المضمرات وقيمها النَّظيمة والوظائفيَّة النَّحويَّة في النَّص ـ، لما كانت لعناصر النَّص من ربط وترابط/تماسك، بل لأصبحت عبارة من كلمات مبعثرة، وجمل مشتتة بلا جامع يجمعها، ولا نظامها يمسكها، ومرةً أخرى يظهر بقول: لولا سياق النَّصّ، ومرجعيَّة السّابق، وهو الدّال اللِّسانيّ المعجميّ الصَّريح، لما كانت لقيم هذه المركَّبات الوظائف من أداء في التَّرميز والتَّلميح، ولما كانت لإجرائها الاعتمالي من مبدأ دلاليّ واستمرار إبلاغيّ، في استدعاء المعلومات والمفاهيم السابقة في النَّصّ.

لقد تراصف النَّصّ على نحو متواثق لاحقه يرتبط بسابقه، وسابقه المعجميّ يفسِّر لاحقَه الوظيفيّ وعلى خصوصيَّة متشارطة في التَّطابق الإحاليّ، والتَّماثل الدلالي تماماً تحت سقف عامّ من قراءة الإحلال والإبدال، فالبديل عبارة عن رمز مكثَّف الدَّلالة على الرَّغم من تجريده؛ وذلك لأنَّه بالتَّفسير والمطابقة يكون له وظيفتان، الأولى: الربط. والثانية: الإعادة بطريق غير مباشرة، وهو بالثانية عبارة عن دالّ مزدوج الإجراء: رابط ومُذكِّر. أمَّا العنصر النَّصِّيّ السَّابق/المحال عليه، فيبقى في خطِّيَّة النَّصّ من التَّكوين؛ بوصفه العنوان الأوَّل للبديل عنه الأخير المطابق والمناسب له بالتَّمام.

ومن الرَّبط بالإحالة النَّصِّيَّة على سابق باستعمال **المضمر الغائب المستتر**، قوله "φ" في النّص السابق: "وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ، وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا". وكذلك قوله "φ": "اللّهمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، اَلَّذي إِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وَإِذا دُعيتَ بِهِ عَلى كَشْفِ الْبَأْساءِ وَالضَّرّاءِ انْكَشَفَتْ"(١٤٤).

ففي النَّصّ الأوَّل حدث إضمار، في الفعل (تُمسِكُ ـ أنتَ، سبحانكَ)، و(أن تقعَ ـ هي)، ومفسِّره سابقه، هو فاعله: (بقوتك = أنتَ سبحانك، تمسكُ، بقوتك)، و(هي = السماء، أن تقعَ السماءُ على الأرض)، إنَّ هذه الإحالة الضَّميريَّة تحيل على سابق، وقد تكفل النَّصّ بما فيه من معجميات بإظهاره لسانيّاً، وهو من القرب ما جعل النَّصّ به متماسكاً بدلاً من الذكر، ولذلك صار الخيار الإضمار محققاً لأمرين: التَّرابط النَّصِّيّ من جهة، والمعنى الدَّلاليّ الذي يقتضيه فعله الإنشائيّ. وكذلك القول في النّص الثاني، إذ إنَّ ترك الفاعل والاكتفاء بالإحالة عليه إضماراً، لا يعني تركه وحذفه، بل إنَّ النَّصّ يصير إلى منطق الاكتفاء بالإحالة التي تشي بها تلك الأفعال: (انْفَتَحَتْ، وانْفَرَجَتْ، وتَيَسَّرَتْ، وانْتَشَرَتْ، وانْكَشَفَتْ")، وهي بالضَّرورة تحيل على مرجعها اللِّسانيّ السّابق، وهو نفسه مفسِّر لها، ودالّ عليها، وكاشف عن نفسه فيها.

لقد أبقت الإحالة الضَّميرية ثمَّة على قيم النَّصّ الدُّعائيّ وشعور الإجابة، حتَّى كأنَّ الفاعل المتصف غير موجود بالوعد والإنجاز، بل إنَّ النَّصّ يُشعر بأنَّ الإجابة قد تحقّقت بصفة ما لم يُذكر فيها ما دُعِيَ لأجله: (الانغلاق، والضيق والعسر، والبأس والضر)، والدليل اتفاق (كشفت)، على إضمار فاعل واحد، وكان الأمر أن يظهر بمضمر دالّ على اثنين، هكذا (انكشفا = البأساء والضراء) نظير قوله "φ" في النَّصّ الأوَّل: "وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا"، ناهيك بأنَّ الإضمار قد حقَّق أيضاً من التَّوافق الموسيقيّ في نهاية الفقرة الدُّعائيَّة ما لا يكون كذلك ما لو ذُكِرَ، ولذلك صار الإضمار ينشر نفسه معنًى ووظيفةً ودلالةً على نحو ترابطت فيه مفاهيم النَّصّ واتسقت.

ـ الإحالة النَّصِّيَّة بالإشاريّات:

لأسماء الإشارة عموماً فعل مخصوص بالإحالة أيضاً، ولعلَّ لها من خصائص الضَّمائر ما تقديره المشابهة من جانب، والاختلاف من آخر، فضلاً عن مستويات صيغها المجرَّدة التي تُوظَّف للإحالة على البعيد والقريب، وداخل اللُّغة النَّصِّيَّة، وخارجها تداوليَّة سياقيَّة مقاميَّة.

وفي "دعاء السِّمات" نجد من الإحالة على داخل النَّصّ بالإشارة قوله "φ": "اَللّهُمَّ، وَكَما غِبْنا عَنْ ذلِكَ، وَلَمْ نَشْهَدْهُ، وَآمَنّا بِهِ وَلَمْ نَرَهُ، صِدْقاً وَعَدْلاً..."(١٤٥).

فالإحالة بالإشارة في هذا النَّصّ **(ذلك)** قد أحكمت كلّ هندسة النَّص ودعاماته التَّكوينيَّة، فاستحال من التَّفكُّك إلى التَّماسُك والاتِّساق النَّحويّ: اللاحق منه بالسَّابق، وصار اللاحق بها مثلاً لأوّله، مترابطاً به تاليه، حاكياً عنه، يرغب فيه، ويدعو إليه، وهو بدوره، أعني: ذلك الأوَّل المرجعيّ، كاشف عنه، مفسِّر له، إنَّه نصّ الدُّعاء "السِّمات"، كُلُّه، كلّ ما فيه من مفاهيم ومعارف.

لقد عملت الإشارة هنا على وضعها ومفهومها الوظيفيّ، وصارت بإجازة النَّصّ الأوَّل المرجعيّ هي الممثلَ المركزيّ، وبؤرة التَّكوين النَّصّيّ فيه، وليس إلى ذلك فحسب، بل أجرت من نفسها كينونة اختزال معارفيّ باقتصاد لغويّ لكلّ ما تقدَّم في النَّصّ، وتاليه التَّتابعيّ الجملي، حتَّى توافقت معها الإحالة المضمريَّة، على الرّغم من اختلاف الصّيغة، فصارت الأخيرة، تحيل على النَّصّ الأوَّل، ولكن عن طريق اسم الإشارة؛ لأنَّها كما قلنا: سفير محوريَّة النَّص وجامعه، وللجمال النَّصِّيّ من بعدُ، خاصيَّة إبداعيَّة وميّزة أسلوبيَّة أخرى من الالتفات أيضاً، وذلك في الانتقال من إشارة إلى إضمار، ومن إضمار إلى إشارة، ومن النَّصّ اللُّغويّ إلى كلٍّ منهما مرجعاً تفسيريّاً، والغاية نحو الاتّساق، و"الكفاية النَّصِّيَّة". "وهي صياغة أكبر كمِّيَّة من المعلومات بإنفاق أقلّ قدر من الوسائل"(١٤٦). ويمكن بيان ذلك، كما في افتراض هذا المخطَّط اليسير، هكذا:

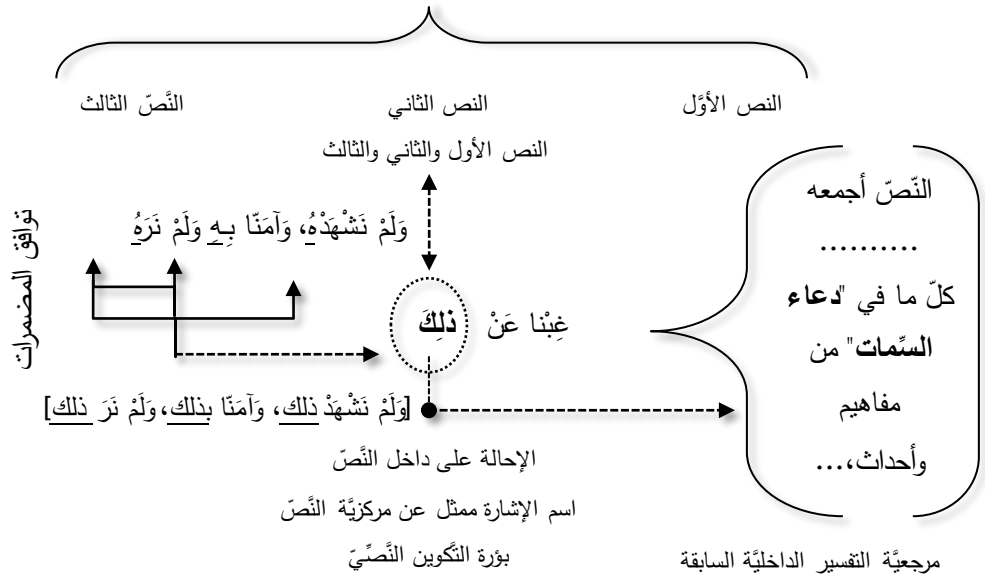

وأقول: في قراءة أخرى، إذا كانت مكوِّنات النَّصّ تُفصح عن عالم متخيَّل قد صادر واقعه، فهل تكون الإشارة من هذا القبيل، لتكون في قراءة تحيل على عالم النَّصّ: ١. المتخيَّل الذِّهني، ٢. البياني النَّصِّيّ ـ التَّعبير الذهني، ٣. الواقع الذي ترجمه النَّصّ لغة، والإشارة منطقها الحسّ؟! يبدو لي أنَّها قريبة من هذا التَّصوُّر.

ـ الإحالة النَّصِّيَّة البعديَّة ـ "الإضمار قبل الذِّكر":

وللإحالة النَّصِّيَّة البعديَّة شأن آخر في الاتساق النَّحويّ النَّصِّيّ؛ استمرارَ دلالة النَّصّ وترابطه نسيجاً وغاياتٍ إبلاغيَّة وتواصليَّة. ولقد نجد من هذا في "دعاء السِّمات" ما أحال على توال من فقرات، وتتابع من جمل نصِّيَّة بعديَّة، والدَّال الإحاليّ الذي يلبِّي إجراء ذلك، هو اسم الإشارة أيضاً. فمِن ذلك مثلاً قوله "φ": "اللَّهُمَّ بِحَقِّ هذَا الدُّعاءِ، وَبِحَقِّ هذِهِ الْأَسْماءِ الَّتي لا يَعْلَمُ تَفْسيرَها وَلا تَأْويلَها وَلا باطِنَها وَلا ظاهِرَها غَيْرُكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَرْزُقَني خَيْرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ،..."(١٤٧).

فالاسم الإشارة (هذا، وهذه)، قد أجرى سياقه الوظيفيّ في الإحالة على علاقة لغويَّة نصِّيَّة بعديَّة، وهي (الدّعاء، والأسماء...)، ولا ريبَ في أنَّ هذا (الدعاء) الإحالة البعديَّة، هو كلّ ما في نص "دعاء السِّمات"، وكذا "الأسماء" الواردة فيه، سواء الأسماء الإلهيَّة والصّفات، أم أسماء الأنبياء "β". وذلك لتعدُّديَّة الإحالة فيها.

وأقول: يتناسب جداً منطق الإحالة الدَّلاليّ في هذا النَّصّ المنظور في توصيف اللاحقيَّة النَّصِّيَّة، مع النَّصّ السّابق في الإحالة القبليَّة، إنَّ الجامع هو الإشارة إلى نصِّيَّة البيان والإفصاح، والفرق في مجرى الإحالة فحسب، فهناك تشير إلى سابق بـ(ذلك) بعيد؛ لما فيه من معانٍ ومفاهيم مجمعها كلّه **(الدعاء)**، وهذه تشير إلى لاحق قريب اخْتُزِلَ في دالّ، ناهيك بأنَّ الفكر ثمَّة، مشتغل بالبيان النَّصِّيّ اللاحق الذي يشير إلى سابق، كما سنأتي عليه، وتلك قد حصل منها فضل الإعادة بدالّ وظائفيّ وقد اشتغل الفكر به سابقاً، وليس لاحقاً، كما في (هذا، وهذه) في هذا النَّصّ، وهو الأمر الذي أسهمت الإحالة فيه بخلق نصِّيَّة متماسكة، ترابطت فيها المكوِّنات، وأجرت إجازتها للنصّ أن يستمر في الدَّلالة والقصد والبلاغ.

ـ الإحالة النَّصِّيَّة بالموصولات ـ التَّكامل النَّصِّيّ البعديّ القبليّ والدالّ وظائفيّ واحد:

تتجلَّى باستعمالات الموصوليَّة الاسميَّة في النَّصِّ نصِّيَّةٌ من التَّعاكس الإحاليّ: الصَّلة، بوصفها مرجعيَّة تفسيريَّة بإحالة بعديَّة من جانب وقبلية من آخر، والعائد الرابط بوصفه إحالة قبليَّة

أيضاً، وكلٌّ منهما في داخل النَّصّ باتساق نحويّ وظيفيّ دلاليّ والفاعل دالّ واحد، ولا يعني توصيفه بالوحدة عدم اختصاصه أو اشتراكه، أو ما يستلزمه من شرائط في التَّطابق الإحاليّ والتّماثل السّياقيّ، بل كلّ بحسب السّياق والاستعمال التّداوليّ، ولأنَّ الإحالة بالاسم الموصول لها من خصائص الاستعمال مميزات كثيرة في عموم الاستعمال النَّصّيّ، لذا نقف الآن فيها على نحو نصّيَّة من الإحالة وفاعليَّة الصِّلة والمرجع؛ بوصفهما عالم من الاشتراك في نصّيَّة إحاليَّة بعديَّة قبليَّة على سابق نصّيّ في النَّصّ الممتاز- "دعاء السِّمات".

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "**وَبِمَشيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ،...**"(١٤٨).

وقوله "φ": "**وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلى قُبَّةِ الرُّمَّانِ، وَبِآياتِكَ الَّتي وَقَعَتْ عَلى أَرْضِ مِصْرَ بِمَجْدِ الْعِزَّةِ وَالْغَلَبَةِ،... وَبِكَلِماتِكَ الَّتي تَفَضَّلْتَ بِها عَلى أَهْلِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَأَهْلِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتي مَنَنْتَ بِها عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْتِطاعَتِكَ الَّتي أَقَمْتَ بِها عَلَى الْعالَمينَ. وَبِنُورِكَ الَّذي قَدْ خَرَّ مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْناءَ، وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ،... وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عُرِفَتْ لَكَ بِهِ الْغَلَبَةُ دَهْرَ الدُّهُورِ،... وَبِكَلِمَتِكَ كَلِمَةِ الصِّدْقِ الَّتي سَبَقَتْ لِأَبينا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَذُرِّيَّتِهِ بِالرَّحْمَةِ. وَأَسْأَلُكَ بِكَلِمَتِكَ الَّتي غَلَبَتْ كُلَّ شيء، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً، وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ عَلى طُورِ سَيْناءَ فَكَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ...**"(١٤٩).

تحمل الإحالة بالاسم الموصول (الذي...، التي...) في هذين النَّصّين دواعي توظيفه النَّصّيّ، ومن أهمّها الاتساق النَّحويّ، إنَّه، أعني: الاسم الموصول ثمَّة، محور وظائفيّ يتنشر على شبكة تتفاعل أركانها في نصّيَّة نصٍّ، حامل لعناصره الكُلِّيَّة: الجملة/النّواة ـ الصِّلة التي تعمل على تفسير الاسم الموصول أوّلاً، ثُمَّ تواثق هذه الإحالة البعديَّة على سابقها القبليّ، وهو المرجع الضّابط للتسييق، اللائق بالتَّوظيف، الذي يعمل على استمراريَّة القبول الدَّلاليّ ثانياً.

ولكن إلى أيّ مدًى؟!. إنَّ القيمة المجرَّدة للاسم الموصول؛ بوصفه دالّاً وظائفيّاً يتحدَّد بياناً بمتمّ نصّيّ آخر، ثُمَّ يتجلَّى بذكر هذا المتمّ التالي ظهوراً، تجعله متعدِّد الإحالة؛ وذلك لأنَّه يتّضح بنصّيَّة صلة، يحيل هو عليها، ثُمَّ تحيل هي عليه بياناً وإيضاحاً لرمزيته، وهذه الإحالة البعديَّة ـ القبليَّة، من التَّفاعليَّة ما ينصهر فيها الأوّل بالثاني، والثاني بالأوّل امتزاجاً ككلمة واحدة، وهي ترتبط التزاماً بمرجعيَّة تعمل بأصولٍ تجري على نسق الإحالة التَّطابقيَّة، وهي الإحالة القبليَّة، وهذه الأخيرة بدورها تربط النَّصّ سابقه بأوّله كي لا يكون ثمَّة غرابة، بل قرابة، بعد أن يُكمِل الموصول نصَّه الإجرائيّ في ضوء نظامه النَّحويّ الدَّلاليّ.

الموقف الإحاليّ في الاسم الموصول إذن، ليس في إحالة واحدة، بل بإحالة بعديَّة حين تكون بيانيَّة دلاليَّة كاشفة عنه، تنعكس عليه إجراءً، بوصفها قبليَّة معروفة متصوّرة سابقاً، ثُمَّ تتضافر هذه الأخيرة مع دالّ وظائفيّ آخر، وهو المضمر ليربط كلّ الإحالات عليه به، وكلٌّ في نصّ بدالّ واحد دلائليّ، وهذا ما نجده في النَّصّين السابقين، هكذا كما في هذه الخطاطة اليسيرة مثلاً:

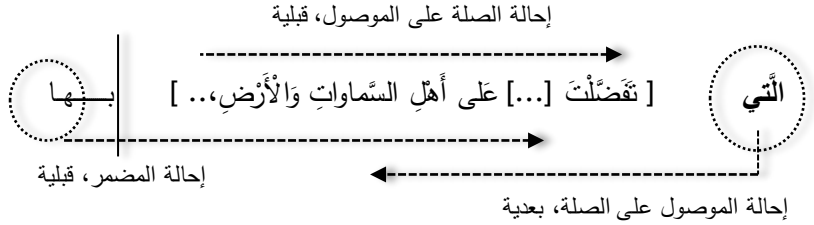

ثانياً: الإحالة المقاميَّة ـ قرائن التَّكلُّم والخطاب:

. الإحالة على خارج النَّصّ ـ المتكلِّم/الدَّاعي:

ومن الإحالة على خارج لغة النَّصّ وسيلة ضمير المتكلّم وسياقاته المقاميَّة، فمِن ذلك مثلاً قوله "φ": "اللَّهُمّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الأَجَلِّ الْأَكْرَمِ،..."[١٥٠]. وكذلك قوله "φ": "وَأَسْأَلُكَ اللّهمّ بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ،..."[١٥١]. وكذلك قوله "φ": "وَأَسْأَلُكَ بِكَلِمَتِكَ الَّتي غَلَبَتْ كُلَّ شيء، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً..."[١٥٢].

فهذه الأمثلة تقوم على تتابع حمليّ مستند إلى مقولة الإضمار، قدرتها الوظائفيَّة الإحالة على خارج النَّصّ ـ المقام والواقع الفعليّ المنظور، وهي ضمير المُتكلِّم (أنا ـ الدَّاعي) وتحوُّلاته النَّظميَّة: المتصل منه، والمستتر، في (إنِّي، وأسألُكَ ـ أنا)، وهي إحالة، على الرّغم من كونها تحيل على خارج النَّصّ، فإنَّها تسحب "**الذَّات المتكلِّمة**" إلى داخل النَّصّ أيضاً؛ لتوثيق أواصر ما تستند إليه من أصول الطَّلب والدَّعوة والرَّجاء، ناهيك بما خلفها من التَّضرُّع والخضوع والضَّعف.

وأقول: تبدو الإحالة الضَّميريَّة ـ ضمير المتكلِّم من العموم ما كانت عليه توصيفات الضَّمائر: تشير إلى كلّ أحد، ثُمَّ تخصَّص بقرينة التَّكلُّم، وما يُستنبط من المقام الواقعيّ، فهي، وإن أحالت على متكلِّم مخصوص بالسِّياق النُّطقيّ الأوَّل، وهو المعصوم، إلا أنَّ إرسال نصّ الدُّعاء، بوصفه جهة عباديَّة عامَّة، أصبح، أعني: المضمر، به غير معيَّن، ولهذا صارت طريقته مخصوصة بالطَّلب،

يطلبها كلّ إنسان داع، ولكنَّه مع ذلك يتخصَّص بالقول، ويتعيَّن حين الدُّعاء، وهذا له من الأزمنة والأمكنة والناس/الدَّاعين ما ليس لأحد دون آخر، إنَّه باب مفتوح لداعيه سبحانه وتعالى.

وعلى أيّ حال يمكن القول: إنَّ الإحالة الضَّميريَّة في هذه النُّصوص تحيل على خارج النَّصّ إلى السِّياق الواقعيّ، وهي إذ ذاك تعمل على ترتيب خريطة الطَّلب الإحالي من الخارج؛ بوصفه الذَّاتيّ إلى داخل النَّصّ الذي يُعبِّر عنها دعوةً وعبادةً وتجلياً في طلب ورغبة، وبه تشتدّ عناصر السِّياق النَّصِّيّ، في سمة من الاتّساق النَّحويّ.

. الإحالة على خارج النَّصّ ـ المخاطَب/المدعو:

تسمو الإحالة الضَّميريَّة بدالّ المخاطَب على خارج النَّصّ في "دعاء السِّمات" على كلّ توصيفٍ لإحالة خارجيَّة، ولها من الكم والكيف والتَّوظيف النَّصِّيّ ما لا يكون دعاء إلا بها، وهل تسمية "دعاء السِّمات"، كما تقدَّم بنا القول، إلا بهذا الرُّكن البنائيّ الرئيس: أسماء الله تعالى وصفاته، وهو المدعو سبحانه وتعالى، إنَّها، أعني: الإحالة الخطابيَّة ثمَّة عنوان السُّؤال والطَّلب، وركيزة التَّوجُّه العباديّ له سبحانه، ولذلك تجلَّت، وهي تحيل على سياق خارجيّ، مرةً بتوصيف من وظيفة فاعل، ونائبه، وذلك بـ"تاء" الخطاب، ومرةً أخرى، وهو الأكثر بوظائف من مفعول، أو بمجرور، أو بمضاف إليه بـ"كاف" الخطاب، والواقع التَّداوليّ هو الطَّلب باسم "الله" تبارك وتعالى.

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "اللّهم إنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ،... اَلَّذي إذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وإذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ، وإذَا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ،... وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَريمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ،... وَبِمَشِيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزينَةً وَرُجُوم لِلشَّياطينِ. وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ، وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ، وَقَدَّرْتَها فِي السَّماءِ مَنازِلَ فَأَحْسَنْتَ تَقْديرَه، وَصَوَّرْتَها فَأَحْسَنْتَ تَصْويرَها، وَأَحْصَيْتَها بِأَسْمائِكَ إِحْصاءً، وَدَبَّرْتَها بِحِكْمَتِكَ تَدْبيراً فَأَحْسَنْتَ تَدْبيرَها، وَسَخَّرْتَها بِسُلْطانِ اللَّيْلِ وَسُلْطانِ النَّهارِ وَالسَّاعاتِ، وَعَدَدِ السِّنينَ وَالْحِسابِ، وَجَعَلْتَ رُؤْيَتَها لِجَميعِ النَّاسِ مَرْأًى واحِداً"[١٥٣].

لقد اتّسقت محمولات هذا النَّصّ وترابطت تتابعاته الجمليَّة الأفقيَّة على ركن جوهريّ، "ليس كمثله شيء" سبحانه، فهو، وبافتخار من لغة رمزيَّة وظائفيَّة تعبِّر عنه ـ هذا إذا لم نقل إنَّه، أعني: الضَّمير، يعبِّر به: بـ"الله تعالى" عن نفسه ـ إحالة على نحو سياقيّ خارجيّ، في "كاف" الخطاب

بوظيفة: المفعول، والمجرور والمضاف إليه في (أسألك باسمك، وجهك، وبمشيئتك، وبكلمتك، وبحكمتك، وبأسمائك)، وفي "تاء" نائب الفاعل في (دُعِيتَ)، والفاعل (صنعتَ، خلقتَ، جعلتَ، قدّرتَ، صوَّرتَ، أحسنتَ، دبرتَ)، إنَّه الربّ العظيم الأعظم سبحانه. هكذا كما في هذه الخطاطة:

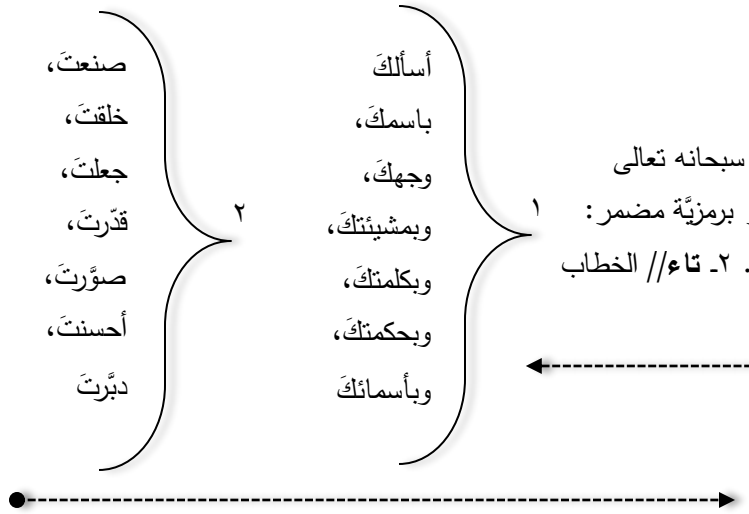

الإحالة على خارج النَّصّ . الواقع

إنَّ سلطة الإحالة على خارج محيط النَّصّ هنا، صهرت مكوِّناته في ذاته كأنَّه كلمة، مكوِّناً لنفسه نمطاً من التَّرابط النَّحويّ، قد انعقد عليه كلّ ركن من أركان شبكة تكويناته، فلا تتوهَّج منه كلمة إلا وقد تشبثت جذورها الدَّلاليَّة به، ولا تستوي منه جملة مع تتابعاتها إلا وتوقفت مفاهيمها البيانيَّة عليه، لقد أحالت اللُّغة نفسها على خارج تكوينها النَّصِّيّ، فأصبحت بالمقام لها خصوصيَّة من رمز إشاريّ إحاليّ يدافع النَّصّ نفسه عنه، ليتجلَّى به تكويناً مرسلاً، يستمد قِيَمه المعنويَّة من المحال عليه، ويبني تصوُّراته الإبلاغيَّة حين يطلب متوسّلاً، أن ينتمي إليه، ولهذا كانت كلّ واقعة تطلب اللجوء إليه تأييداً، وكلّ حدث من أحداثه يتّصف به توكيداً.

لقد تنوّرت رمزية "التاء"، وامتلأت سمة "الكاف" معنًى بعد التَّجريد، ودلالة مترابطة بعد الفراغ والاستقلال حين اتخذت من نفسها قانوناً شرع سياقه النِّظام النَّحويّ للإحالة على الذات الإلهيَّة والصّفات الربانيَّة المقدَّسة، وهي إحالة صحيح أنَّها تعبِّر عن واقع خارج النَّصّ، ولكن صحيح أنَّ هذا ليس مشخّصاً، بل هو مطلق تعيّنه الإضافات التي تقترن باسمه سبحانه وتعالى، ولهذا كانت

الحمليّات تُعبّر عن نفسها من خلاله، وتلوذ بظلّ سياقه، مانحة لنفسها به دلالةً، وللنص معنًى وبلاغة، بلَه طلباً ودعاءً.

الإحالة بنصِّيَّة الأعلام/الأشخاص:

لم تعتن الدِّراسات النَّصِّيَّة بموضوع الأعلام بوصفها إحالة كثيراً، ولم تشر إليها بوصفها مشخّصات لها ما لأنواع الإحالة من هدف ووظيفة، إلا على خجل، على الرّغم من أهمِّيّتها في تحديد عالم النَّصّ، فضلاً عن الإدراك السريع، وسهولة تحصيل المفاهيم بلا جدل، يقول "دي بوجراند": "معنى أن تحدّد الوضع status باسم علم مثلاً أو بصفة هي معرفة أنَّك تقول للسامع أو القارئ إنَّ المحتوى المفهومي المضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلومية المنشطة بالفعل"(١٥٤).

والحقّ أنَّ لها من وظائف الإحالة ما لقيم التَّعريف الأخرى، فإذا كان المضمر يحيل على خارج سياقيّ واقعيّ تداوليّ، وكذلك الإشارة، مع قرينة مخصوصة بالتَّكلُّم والخطاب، فإنَّ نصِّيَّة الأعلام، بوصفها مشخّصات لمسمّياتها الخارجيَّة تؤدِّي هذه الوظيفة وأكثر؛ لأنَّ المضمرات مجردة، والأعلام لها، فضلاً عن سياقها المعرفيّ المسبق، دلالة مركزيَّة وهامشيَّة نفسيَّة وثقافيَّة أخرى، وفي "دعاء السِّمات" نجد نسقاً ما يتمظهر بهذه الأعلام والأسماء، وهي أسماء الأنبياء "β"، إنَّها الركيزة الثانية بعد قرينة الخطاب ـ المدعو (الله) سبحانه وتعالى، وهي كذلك.

لقد أكتنف "دعاء السِّمات" من الأحداث الرَّبانيَّة ما استندت إلى مشخّصاتها، حتَّى صارت بهذه الأعلام والأسماء سمات وعلامات تخرج من عالم النَّصّ إلى عالم الخبرة والواقع، ثُمَّ تعود إلى عالم النَّصّ لتحيل عليها بوصفٍ تاريخيّ وسياق ثقافيّ كاشف مبين.

فمِن ذلك مثلاً قوله "φ": "**وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ، وَلِإبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ في مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَلِإسْحاقَ صَفِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بِئْرِ شِيَعٍ، وَلِيَعْقُوبَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بَيْتِ إيلٍ، وَأَوْفَيْتَ لِإبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِميثاقِكَ، وَلِإسْحاقَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِحَلْفِكَ، وَلِيَعْقُوبَ بَشَهادَتِكَ، وَلِلْمُؤْمِنينَ بِوَعْدِكَ، وَلِلدَّاعينَ بِأَسْمائِكَ فَأَجَبْتَ. وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلى قُبَّةِ الرُّمَّانِ،...**"(١٥٥).

وكذلك قوله "φ": "**وَبِبَرَكاتِكَ الَّتي بارَكْتَ فيها عَلى إبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبارَكْتَ لِإسْحاقَ صَفِيِّكَ في أُمَّةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِيَعْقُوبَ إسْرائيلِكَ في أُمَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِحَبيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَأُمَّتِهِ**"(١٥٦).

أقول بعبارة مختصرة جداً، تاركاً ما لهذه الأسماء الجليلة ـ ما فوق الخطّ ـ من تقدير إلهيّ، وتعظيم ربّاني: إنَّها علامات تحيل على خارج اللُّغة ـ النَّصّ باللُّغة، وتشير إليها؛ بوصفها قرائن على أصحابها في الواقع الخارجيّ تداولاً، لقد استق النَّصّ بها إذن دالَّة كبرى، واتخذ من إحالتها على خارجه معنًى أكبر.

الإحالة بنصيَّة الظُّروف ـ الأزمنة والأمكنة:

تؤلِّف الظُّروف ـ الزّمانيَّة والمكانيَّة ـ نمطاً من الإحالة على خارج النَّصّ، سياقات مقاميَّة/موقفيَّة، وهو إجراء يلحق بأسلوب الإشارة، ومنطق مشخَّصاتها الحسِّيَّة، إنَّها علاقة إحاليَّة على أشياء ماديَّة ليس لها أن تكون بالنَّصّ اللُّغويّ إلا بهذه الرموز والإشارات التي تجذب معانيها إلى معالمه: عالم النَّص؛ ليكوِّن بها سياقاً دلاليّاً تواصليّاً، قائماً على هدفٍ، مرصوداً فيه غاية وقصد.

و"دعاء السِّمات" يزخر بهذه الظُّروف: الأزمنة والأمكنة والأحداث، وليست الماديَّة والمشاهدة منها فحسب، بل المعنويَّة، والغيبيَّة المدركة بالإيمان أيضاً، إنَّها عالمه المخصوص، وهو بها يتمظهر مشكّلاً نفسه الدَّلاليّ والبيانيّ، ابتداءً من الخلق، وانتهاء إلى الغاية.

فمن ذلك مثلاً قوله "φ": "**وَأَسْأَلُكَ اللّهم بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ، فَوْقَ إِحْساسِ الْكَرُوبِيّنَ، فَوْقَ غَمائِمِ النُّورِ، فَوْقَ تابُوتِ الشَّهادَةِ فِي عَمُودِ النَّارِ، وَفِي طُورِ سَيْناءَ، وَفِي جَبَلِ حُوريثَ فِي الْوادِ الْمُقَدَّسِ، فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَفِي أَرْضِ مِصْرَ بِتِسْعِ آياتٍ بَيِّناتٍ. وَيَوْمَ فَرَقْتَ لِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ، وَفِي الْمُنْبَجِساتِ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ فِي بَحْرِ سُوفٍ، وَعَقَدْتَ ماءَ الْبَحْرِ فِي قَلْبِ الْغَمْرِ كَالْحِجارَةِ، وَجَاوَزْتَ بِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ الْحُسْنى عَلَيْهِمْ بِما صَبَرُوا، وَأَوْرَثْتَهُمْ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتي بارَكْتَ فيها لِلْعالَمينَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَمَراكِبَهُ فِي الْيَمِّ. وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ، وَلِإِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ في مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَلِإِسْحاقَ صَفِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بِئْرِ شِيَعٍ، وَلِيَعْقُوبَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بَيْتِ إيلِ،... وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً، وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ عَلى طُورِ سَيْناءَ فَكَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ. وَبِطَلْعَتِكَ في ساعيرَ، وَظُهُورِكَ في جَبَلِ فارانَ بِرَبَواتِ الْمُقَدَّسينَ، وَجُنُودِ الْمَلائِكَةِ الصَّافّينَ، وَخُشُوعِ الْمَلائِكَةِ الْمُسَبِّحينَ،...**"(١٥٧).

فهذه الأماكن والأزمنة ـ ما فوق الخطّ ـ التي يكتظ بها النَّصّ هي إحالات خارجيَّة مقاميَّة أحالت النَّصّ من عالم الغربة الفضائيَّة إلى التَّشخيص الزّمكاني للأحداث، عالماً متماسكاً في وصفه، مترابطاً ترابطاً نحويّاً في بيان دلالته وقصده، هذا من جانب، ومن جانب آخر إنَّها على قدر رمزيتها، أعني: هذه الإحالات والإشارات: المكانيَّة والزَّمانيَّة، صار لها من القدسيَّة بقدر ما ارتبطت به، إنَّها

فكر النَّصّ الواقعيّ: مقامات ومنازل، وأحداث ومعالم، دخلت عليه، مرحِّباً هو بها، ناظماً لثقافة ذكرها وقصد بيانها.

ثالثاً: الإحالة بنصِّيَّة المقارنات:

ومن أنماط الاتساق النَّحويّ الإحالة المقارنة، وهو مفهوم إجرائيّ أدائيّ يُستعمل في سياقه بعض الكلمات التي تشير إلى نوع مقارنة اختلاف أو مشابهة بين سياقين: السابق واللاحق.

وفي "دعاء السِّمات" نجد منه قوله "φ": "**اللَّهُمَّ،... نَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُبارِكَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَرَحَّمَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلى إِبْراهِيمَ وَآلِ إِبْراهِيمَ، إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ،...**"(١٥٨).

ففي هذا النَّص أحالت نصِّيَّة: (كأفضل ما...) على سابق، وهي بدورها أيضاً، أحالت على لاحق، مقارنة ومشابهة؛ رجاءَ الدَّرجة الرَّفعيَّة، لقد أمسكت هذه الإحالة التَّفاضليَّة بين عناصر النَّص ومكوِّناته، كاشفة عن تضافر جدليَّة في نحو الاتّساق النَّصِّيّ، الدَّلاليّ منه والنَّحويّ.

رابعاً: الاتّساق بنحو نصِّيَّة التَّعريف:

ليست مكوِّنات عالم النَّص على وتيرة واحدة من النَّشاط المعرفيّ، فبعضها يمكن استحضاره على أساس المعلومات السابقة المنشطة بالفعل، وهي **المعارف**، وبعضها الآخر يحتاج إلى تنشيط مساحة من المعلومات الأُخَر، وهي النَّكرات، ولكلّ منهما وسائله النَّصِّيَّة التي تُعتمد في الإجراء والأداء النَّصِّيّ(١٥٩).

ولقد بيَّن لسانيّو النَّصِّيَّة ما لأهمِّيَّة هذه الأدوات والوسائل من أثر ودلالة في ضوء مقولات تحديد عوالم النَّصّ، فأحدثوا ثقافة من التَّعريف: المعلومات المنشطة في النَّصّ، ليتخذوا منها معايير في التَّوصيف والتَّحليل النَّصِّيّ، ليس لتعيين المفاهيم واستدعائها فحسب، بل لتفسير التَّرابط النَّصِّيّ وكفاياته النَّصِّيَّة، يقول "دي بوجراند": "تنظر إلى التَّعريف بوصفه شيئاً يأتي عن ترابط المعلومات المختزنة عند استعمالها في موقف واقعيّ حيث تكون الكفاءة أكثر أهمِّيَّة من الضَّبط"(١٦٠). والذي يبدو أنَّ هذه المفاهيم وآليّاتها التي تُرشّح ثقافتها ثنائيَّة التَّعريف والتَّنكير لا تختلف عن إجراءات الدَّرس النَّحويّ العربيّ القديم، بل لعلَّها نفسها من حيث المعنى والدَّلالة والتَّوظيف والتَّحليل والثَّقافة، ولأنَّها كثيرة، سنقتصر منها على المعرِّف والمحدِّد الإجرائيّ (أل)، إذ ذكر نحويّو العربيَّة(١٦١) أنَّها على أقسام كثيرة مثل: (أل) العهديَّة، والماهيَّة، والكُلِّيَّة وسواها.

وفي "دعاء السِّمات" من نصِّيَّة التَّعريف بـ(أل)، استعمال وأداء وظَّف نفسه ترابطاً نحويّاً، واتّساقاً نصِّيّاً مرةً على نحو سابق بإحالة نصِّيَّة داخليَّة، وأخرى خارجيَّة عهديَّة علميَّة وكُلِّيَّة أحالت على مفاهيم تجرَّدت من عالم الذِّهن إلى عالم النَّصّ بياناً وبلاغاً وقصداً.

فمِن الأوَّل مثلاً قوله "φ": "**وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً،...**"(١٦٢).

فتعريف (الليل) في ثمَّة، وإعادته بوصلة (أل) مرةً ثانية نصّاً، أحال على الأوَّل النَّكرة، (ليلاً)، وكذا الأمر في (النَّهار)، بعد (نهاراً) وأحدث، أعني: التَّعريف، ترابطاً نحويّاً ودلاليّاً واتّساقاً نصِّيّاً، لولاها لما كانت لعناصر النَّصّ من سياق دلاليّ مستمر، بل لأصبح الثاني عن الأوَّل أجنبيّاً لا يمت إليه بصلة، ولا ينشط بذكره معرفة، هذا من جانب ومن جانب آخر، أنَّ كلّاً من (الليل، والنَّهار) صار معهوداً بهذه القرينة: (أل)، ولهما من دائرة التَّخزين المعرفيّ عند النّاس ما عهدهما عندهم تجربة، وعلى أثرهما صار لهم به مواقف وسلوك، والدليل من النَّصّ نفسه، وهو قوله "φ": "**وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً،...**"(١٦٣). والسكن والنشور يكون لكلّ شيء حيّ يتحرّك على سطح الأرض.

ومن قيم الأنواع الأخر، وهي في دائرة التَّعريف والتَّحديد المعرفيّ أيضاً ما في قوله "φ": "**وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَريمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ، اَلَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْواتُ، وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخافَتِكَ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا. وَبِمَشِيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزِينَةً وَرُجُوم لِلشَّياطِينِ... وَأَسْأَلُكَ اللّهم بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ، فَوْقَ إِحْساسِ الْكَرُّوبِيّنَ، فَوْقَ غَمائِمِ النُّورِ، فَوْقَ تابُوتِ الشَّهادَةِ في عَمُودِ النَّارِ، وَفي طُورِ سَيْناءَ، وَفي جَبَلِ حُوريثَ فِي الْوادِ الْمُقَدَّسِ، فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَفي أَرْضِ مِصْرَ بِتِسْعِ آياتٍ بَيِّناتٍ... وَبِنُورِكَ الَّذي قَدْ خَرَّ مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْناءَ، وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ، وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ، وَانْزَجَرَ لَهَا الْعُمْقُ الْأَكْبَرُ، وَرَكَدَتْ لَهَا الْبِحارُ وَالْأَنْهارُ، وَخَضَعَتْ لَهَا الْجِبالُ، وَسَكَنَتْ لَهَا الْأَرْضُ بِمَناكِبِها، وَاسْتَسْلَمَتْ لَهَا الْخَلائِقُ كُلُّها، وَخَفَقَتْ لَهَا الرِّياحُ في جَرَيانِها، وَخَمَدَتْ لَهَا النّيرانُ في أَوْطانِها، وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عُرِفَتْ لَكَ بِهِ الْغَلَبَةُ دَهْرَ الدُّهُورِ،...**"(١٦٤).إذ يتجلَّى في هذا النَّصّ جملة المعرَّفات بعلامة (أل)، ولقد توزَّعت في عموم عالم النَّصّ على أنحائها الوظائفيَّة والدَّلاليَّة في ضوء نظم مخصوص بالاتّساق/التَّرابط النَّحويّ،

والقول في أنَّ إحداها يمكن أن يكون في احتمال آخر، فهذا صحيح، وهو وارد جداً، وهو الأمر الذي يضفي على النَّصّ سعةً من معنًى وكثافةً من دلالة، ويمكن بيانها على نحو ما يأتي:

١. في العهديَّة العِلميَّة، وذلك في: (السَّماء، والسَّماوات، والأرْض، اللَّيل والنَّهار، والشَّمس، والقَمَر، المُقدّسينَ، والْوادِ الْمُقَدَّسِ، والْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ، والطُّورِ الْأَيْمَنِ والشَّجَرَةِ، والْبِحارُ وَالْأَنْهارُ، والْجِبالُ، والرِّياحُ، والنّيرانُ). فهذه المعرَّفات، تتّصف بكونها قيماً تعمل على تنشيط ذاكرة التَّلَقِّي، وتضفي على النَّفس شعوراً بالامتلاك المعرفيّ، وتمنح النَّصّ من شعارات التَّماسك/الترابط المفاهيميّ، ما هو فعلاً ذلك.

٢. الماهيَّة/الحقيقة، وذلك في: (الظُّلْمَةَ، والنُّورَ)، وهي حقيقة تبعث على كونها الباعث الحقيقيّ لهذا اللّيل والنَّهار، وليس بفعل الشَّمس، وخفائها فحسب، صحيح أنَّهما قريبان من العهدية العلميَّة، ولكن صحيح أيضاً أنَّهما قريبان من تعريف هذه الحقيقة، وهو أقرب إلى معنى التَّعظيم والدعاء بالاسم الأعظم.

٣. الكُلِّيَّة، وذلك في: (الوُجوه، العَالمونَ، العَجائِب، الكواكب، لِلشَّياطين، والْخَلائِقُ)، إذ لو تركت (أل)، وعوض عنها بـ(كلّ)، لاستقام المعنى فيها، ناهيك بكون الموصول بها جمعاً، وهو أمر يدعو إلى قراءة دخول ما فيه دلالة العموم، وهي هنا (أل) على عموم من تصريف آخر في الجمع، وكلّ منهما في تضافر من نصيَّة تدعو إلى الشّمول الدَّلاليّ، والإحاطة المطلقة بالمعنى.

وأقول: لم تكن هذه المعرَّفات بسبب تكوينها المفاهيميّ والتَّحديد الدَّلاليّ هي الباعث على نحو تنظيم شبكتها المفاهيميَّة في عالم النَّصّ فحسب، بل خلقت أيضاً فضاءها التَّرابطي ذلك الذي سهَّل لها سبيل تكوينها وإنجازها الفعليّ. لقد التمست شبكة النَّصّ منها: أعني: هذه المعرَّفات، خصائصها المعرفيَّة؛ تنشيطَ فعلِها الدَّلاليّ، وجعلت إبلاغيّاته تصل إلى غاياتها من الاستمرار التَّواصليّ الذي نظَّم النَّصّ به نفسه هدفاً، إنه انتقال من عالم المعنى إلى لغة النَّصّ بياناً.

خامساً: نحو نصِّيَّة الحذف ـ الاقتصاد اللُّغويّ/الإيجاز في الأداء:

قد يرسم النَّصّ قدره باختزال بعض عناصره، اكتفاءً ببعضها الآخر، مع إعطاء مساحة لحريَّة التَّأمُّل بالإشارات والقرائن التي تدلّ إلى المحذوف من العبارات النَّصِّيَّة، وتعمل على تعيين المتروك؛ ردّاً إلى أصله الأوَّل بالاعتماد على الذاكرة وفهم النَّصّ، ثُمَّ تفسير أسباب حذفه في ضوء محوريَّة السِّياق. لقد أجرت المدوَّنة النَّصِّيَّة من الحذف طريقاً لتفسير بنية النَّص، وإدراك مدى نصِّيَّة اتساقه شأنه شأن برامج الاتّساق النَّحويّ الأُخَر، كالرَّبط والإحالة، ولم تكن لتفعل ذلك إلا لأنَّ الحذف عبارة عن علاقة داخليَّة نصِّيَّة وخارجيَّة، وهي علاقة قبليَّة ترتبط بالعنصر المفترض في النَّصّ أو ما يكتنفه سابقاً(١٦٥)

ولا شكَّ في أنَّ أهمِّيَّة وجود الدَّليل على المحذوف مقاليّاً أو مقاميّاً تكمن في كونه يحقِّق المرجعيَّة بين المذكور والمحذوف(١٦٦)، لا على مستوى الجملة المجرَّدة، بل على نحو خاصّ يعمل على ملء الفجوات السَّطحيَّة بالنَّصّ(١٦٧)، ولهذا كان تقسيمه في الدرس النَّصِّيّ على أصناف معيّنة، وهي(١٦٨): الفعليّ، والاسميّ، والقوليّ، ولكُلّ من هذه الأقسام إجراؤه الوظائفيّ الذي يخلص إلى نحو من الاتّساق النَّحويّ النَّصِّيّ.

وفي "دعاء السِّمات"، نلمس بعضاً من خصائص التَّكوين النَّصِّيّ الذي اتّخذ من نصيَّة الحذف وسيلة لاتساقه وترابطه النَّحويّ، وعلى نحو من مفارقة؛ وذلك لأنَّ الدُّعاء سبيل قائم على أسلوبيَّة التَّكرار، ونهج يعتمد على التَّفصيل والإطناب تلك الجداول التي تشرب إجراءاتها من رحيق الطّلب والإلحاح والتقرُّب إلى المعبود، وليس على الاقتصاد والاختزال والإيجاز في القول والأداء، ولكن إيفاءً بما يلبّي مطلب الدَّلالة ومشروعيَّة القصد.

فمِن ذلك مثلاً قوله "φ": "**اللّهمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، اَلَّذي إذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ،... وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَريمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ، اَلَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ،... وَبِمَشيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ،...**"(١٦٩).

وكذلك قوله "φ": "**وَأَسْأَلُكَ اللّهم بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ،... وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ،... وَبِمَجْدِكَ الَّذي ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلى قُبَّةِ الرُّمّانِ، وَبِآياتِكَ الَّتي وَقَعَتْ عَلى أَرْضِ مِصْرَ بِمَجْدِ الْعِزَّةِ وَالْغَلَبَةِ، بِآياتٍ عَزيزَةٍ، وَبِسُلطانِ الْقُوَّةِ، وَبِعِزَّةِ الْقُدْرَةِ، وَبِشَأْنِ الْكَلِمَةِ التّامَّةِ، وَبِكَلِماتِكَ الَّتي تَفَضَّلْتَ بِها عَلى أَهْلِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَأَهْلِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتي مَنَنْتَ بِها عَلى جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْتِطاعَتِكَ الَّتي أَقَمْتَ بِها عَلَى الْعالَمينَ. وَبِنُورِكَ الَّذي قَدْ خَرَّ مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْناءَ، وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ، وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ، وَانْزَجَرَ لَهَا الْعُمْقُ الْأَكْبَرُ،...**"(١٧٠).

أقول: قد ينصرف النَّظر إلى نحو نصِّيَّة التّوالي والتَّرابط بالوصل والعطف: الاشتراك بالواو في هذا النَّصّ، وهو انصراف صحيح من وجه، كما سنأتي عليه في مقولات الرَّبط بالتَّوابع والعطف، ولكن لنفترض اعتماد مقولة النَّحويّين: "العطف على نيَّة تكرار العامل"(١٧١)، إنَّ ذلك يفضي بنا إلى قول: إنَّ فيه، أعني: النَّصّ، اختزالاً على نسق متعدّد ومتوالٍ للجمل وتتابعاتها، في (بِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ،... وَبِمَشيَّتِكَ،... وَبِكَلِمَتِكَ،... وَبِحِكْمَتِكَ...)، دليله المرجعيَّة السابقة، التَّركيب القوليّ: (أسألُك)، وهي مرجعيَّة داخليَّة لغويَّة نصِّيَّة، يتوقَّف عليها نحو المسؤول به التّابع له مفهوماً، ولكن لأنَّ هذا الدَّليل تكرَّر لفظه سابقاً استعاض عنه النَّصّ بناءً عليه، رغبةً بالإيجاز والاقتصاديّ اللُّغويّ،

ولهذا استبعده وعمل على تركه وحذفه؛ كون الموجود يمكن أن يفي بالمطلوب القصديّ فعلاً، فضلاً عن تعجيل السؤال بالمسؤول به، وهو الاسم الكريم، وهو أمر يجعل النَّصّ على استقامة من الاستمرار الدَّلاليّ والكفاية الإبلاغيَّة، هذا إذا لم نفترض حدساً حذفاً مناسباً يوافق التَّركيب الجمليّ: (أسألك)، وهو: (أقسمُ عليك،...)، وما في البدائل الرأسيَّة المعجميَّة الأُخَر.

وكذا القول في النَّصّ الثاني، وفيه ما يلفت النَّظر من جامعيَّة الأسماء، ومنها: "وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْرِيائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ،...". ومفاهيم الوصف بالموصوليَّة (التي)، التي تقضي بوجود سابق يكون مفهومه كُلّاً جامعاً لهذه الأسماء والصّفات الحسنى، افتراضه تركيب من جملة سابقة، أو شبهها، تطابق انسجاميَّة الوصف؛ اتساقاً، هكذا: (تلك الأسماء التي لم تستقلّها الأرض...)، أو (وبأسمائك، وهي: علمُك، وجلالُك.... التي لم تستقلّها الأرض...). والدَّليل أنَّه لو أُفْرِدَ كلّ منها حين الطلب، كما في فقرات الدعاء السابقة، لكان كلّ منها يقتضي مطابقةً نسقيَّة من واقع اللُّغة الطبيعيَّة في الخطاب الاعتيادي، وهو ما يستلزمه التَّعبير بـ(الذي،...)، هكذا: (وبعلمِكَ الذي،... وبجلالِكَ الذي،... وبعزّتِكَ التي،... وبجبروتِكَ الذي...)، لا المخالفة بـ(التي)؛ ولأنَّها كذلك في واقع الاختيار النَّصّيّ، استلزمَ تقدير موصوفها المحذوف؛ اتّساق النَّصّ النَّحويّ، وترابط مكوّناته الدَّلاليَّة، ناهيك بما قدّمه الحذف من الابتعاد عن التّعدُّديَّة، وتكرار الأنساق التَّعبيريَّة والقوليَّة.

ومن ذلك أيضاً قوله "φ": "وَأَوْفَيْتَ لِإِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِميثاقِكَ، وَلِإِسْحاقَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِحَلْفِكَ، وَلِيَعْقُوبَ بَشَهادَتِكَ، وَلِلْمُؤْمِنينَ بِوَعْدِكَ، وَلِلدَّاعينَ بِأَسْمائِكَ فَأَجَبْتَ"(١٧٢).

وفيه نمطان من الحذف، الأوَّل: على نسق ما تقدَّم، والدَّليل مرجعيَّة المتقدِّم في سياق المتعاطفات، كما في تحليل النُّصوص السابقة، والثاني: في قوله "φ": "وَلِلدَّاعينَ بِأَسْمائِكَ فَأَجَبْتَ"، إذ إنَّ الجملة الأخيرة فيها حذف دليلُهُ المفهوم الاقتضائيّ الذي يستلزمه فعل الإجابة، وهو برهان منطقيّ ليس كبيراً على الإدراك؛ لسهولة تحصيله المعرفيّ، هذا من جانب. ومن جانب ثان: الدّليل اللَّفظي السابق الذي يفسِّره: (الدَّاعينَ بِأَسْمائِكَ)، وافتراضه، هكذا صراحةً: (فأجبتَ الداعين بأسمائِكَ)، أو إضماراً: (فأجبتهم = الداعين بأسمائكَ)، ولكنَّه تُرِكَ؛ لأنَّ النَّصّ اتخذ من علاقات مكوّناته السابقة واللاحقة ما شكَّل اتساقاً نحويّاً وافياً بالمطلوب، على أنَّ سمة الشعور بسرعة الإجابة، هامشاً دلاليّاً، فيه ما لا يخفى؛ لكرمه تبارك وتعالى.

ومن الاستبعاد أيضاً ما يتّخذ من التَّعويض عن الفاعليَّة وجوداً نظماً ودلالةً، كنائب الفاعل، وإن كان على نحو الجملة، ولكن لكونه سياقاً متعدّداً في نمط أسلوبيّ متكرّر، وقد تقدَّم ذلك في قوله "φ": "اللّهمّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، اَلَّذي إِذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ

لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ،..."(١٧٣). وكذلك قوله "φ": "وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عُرِفَتْ لَكَ بِهِ الْغَلَبَةُ دَهْرَ الدُّهُورِ، بِهِ فِي السَّماواتِ وَالْأَرَضينَ،..."(١٧٤).

ففي النَّصّ من اقتراح طرائق التّرك، ما ليس على المفهوم فحسب، بل على المستوى النَّظميّ والدَّلاليّ والتَّداوليّ منه الكثير، وهو ترك واجب، في تصوُّري، في ضوء المعنى الدَّلاليّ، وليس النَّظميّ، بمعنى أنَّ السِّياق الدُّعائيّ هو الذي اتّخذ من التَّعويض عن الفاعليَّة باستدعاء ما ينوب عنها؛ وذلك لأنَّ أفعال الدّعوة والمعرفة والحمد لا يمكن أن تكون لفاعل مخصوص دون آخر، إنَّه فضاء عباديّ لا يقتصر، بل يتّسع اتساع الإنسانيَّة وقابليَّاتها النَّفسيَّة والشُّعوريَّة.

سادساً: نحو نصِّيَّة التَّتابع الرَّبطيّ ـ الوصل/العطف:

أنْ تعقد المدوَّنة النَّصِّيَّة بين مقولات التَّرابط والوسائل النَّصِّيَّة الأُخَر موازنةَ اتفاقٍ وافتراقٍ، ومقارنة خصوص وعموم، فهذا يعني أنَّها أدركت ما يمثِّله نحو التَّرابط في التَّماسُك: السَّبك منه والحبك، من أهمِّيَّة يتوقَّف عليها نحو نصِّيَّة النَّصّ، يقول "دي بوجراند": "إذا كان إعادة اللَّفظ reccurrance والإحالة المشتركة co-reference والحذف ellipsis تحافظ على بقاء مساحات المعلومات، فإنَّ الرَّبط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات،... ويشير الرَّبط أيضاً إلى إمكان اجتماع العناصر والصّور وتعلُّق بعضها ببعض في عالم النَّصّ"(١٧٥).

ولم تكن هذه الثَّقافة الوصفيَّة والتَّحليل النَّصِّيّ المعتمدة على وسائل الرَّبط لتقتصر على مستوى البنية السَّطحيَّة في عالم النَّص والتَّتابع الخطِّيّ منه فحسب، بل في كلّ مفاصله المفاهيميَّة، تلك التي تتمثَّل في عالم النَّصّ/الموازي المعلوماتيّ، أيضاً؛ ولهذا أجرى دي بوجراند قانون الربط بوصف عامّ يستند إلى جملة من الأنواع والوسائل المتعدِّدة تحت معايير النَّصِّيَّة التي تُسهم في "كفاءة الصِّياغة"، ومنها قوله: "الرَّبط JUNCTION وهو يتضمَّن وسائل متعدِّدة لربط المتواليات السَّطحيَّة بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنَّصّ كالجمع بينها واستبدال البعض بالبعض [كذا] والتَّقابل والسَّببيَّة"(١٧٦).

ولأنَّ هذه الوسائل بحسب المذكَّرة النَّصِّيَّة: ما يُفهم من كلام "دي بوجراند"(١٧٧)، و"فان دايك"(١٧٨) كثيرة تتوزَّع على أنواع رئيسة وفرعيَّة على المستوى الرّصفيّ والمفاهيميّ لعالم النَّصّ، نقتصر على ما في المنظور من الاتّساق النَّحويّ ثمَّة، وهي وسيلة الرَّبط/العطف، وما يمكن أن يلحق بها من التَّوابع التي يمكن أن تدخل في دائرة الوصف النَّصِّيّ، ليكون لنا **محور التَّرابط المفاهيميّ** في توصيف لاحق.

لقد بيَّن نحويّو النَّصّ أنَّ الرَّبط بالعطف أو الوصل عبارة عن علاقة بين مكوِّنات النَّصّ تعمل على "تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة"[١٧٩]، فهو عبارة عن "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السّابق بشكل منظم"[١٨٠]، وفي توضيح "الخطابي": "معنى هذا أنَّ النَّصّ عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطِّيّاً، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوِّعة تصل بين أجزاء النَّصّ"[١٨١].

ولهذا قسَّم النَّصّيّون عناصر التَّرابط/الوصل، على أقسام[١٨٢]، منها: الإضافيّ، والعكسيّ، السَّببيّ، والزَّمنيّ، ولكلّ منها إجراءاته ووسائله التي لا تسهم في تماسك النَّصّ وترابطه، وإن كان هو الغاية، فحسب، بل تعمل على وصفه وتفسيره وتحليله أيضاً، ولاسيّما الرَّبط الإضافيّ الذي يكون بـ(أو، والواو)؛ لإضافة معلومات على مساحة عالم النَّصّ، وهو الذي يقترب كثيراً من التابع/العطف؛ بوصفه علاقة تشريك ثنائيَّة إجرائيَّة بين المعطوف والمعطوف عليه على نحو من معنى جامع في الدَّرس النَّحويّ، وأدواته المتنوّعة التي تختلف دلالاتها، بحسب السِّياق الذي ترد فيه.

وفي "دعاء السِّمات" نجد من التَّرابط ـ الوصل/العطف بتوصيف الأنواع المتقدِّمة، الإضافيّ والسّببي والزّمني، ولأنَّ الأخيرين في ترتيب عالم النَّصّ، لذا أتركه إلى موضوع التَّرابط المفاهيميّ الذي سنأتي عليه في عالم النَّصّ ومنطق التوالي قريباً.

وأمّا الأوَّل، وهو الإضافيّ، فباستعمال وسيلة العطف (الواو) وهي الوسيلة المركزيَّة في النَّصّ؛ وسيلةً كوَّن النَّصّ بوساطتها منهجاً، عقد به معاقد شبكة مكوِّناته، في نسيج ترابط فيه اللاحق منها بالسّابق، فتمظهر في وهج متماسكَ العناصر، متواثقَ الأركان، قد بلغ بالنَّص مبلغ المعنى المراد، وأصَّل به غايته القصديَّة والدَّلاليَّة، وذلك مثلاً في قوله "φ": "وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوه، وَأَعَزِّ الْوُجُوه، اَلَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْواتُ، وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخافَتِكَ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا. وَبِمَشِيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزينَةً وَرُجُوماً لِلشَّياطينِ"[١٨٣].

أقول: لو تركنا عالم النَّصّ المفاهيميّ ـ وسنأتي عليه لاحقاً ـ من هذا النَّصّ، مركّزين على بعض من بنيته السَّطحيَّة، وبالتَّحديد أداة العطف (الواو)، بوصفها وسيلة عملت على شدّ عناصره من ابتدائه إلى انتهائه: نصّ التَّمثيل، لو تركنا ذلك لوجدنا أنَّ النَّصّ قد وصف ذاته بوسيلة العطف في

إضافة اللاحق إلى معلوماته السَّابقة، وبناء لاحقه على سابقه في تكوين خطِّيّ تسلسلت فيه الثَّواني تابعة للأوائل، وعلى أساسه تشابكت مواثيقه والمعاقد، والجامع هو مفهوم النَّصّ وعالمه.

ولقد يُقال يمكن إسقاط هذه الواو، والاكتفاء بوسائل النَّصّ التي تكفل ترابطه السّطحيّ، ولا سيما النَّظرة إلى المضمر والإحالة على سابقه، فضلاً عن كون كلّ جملة فيه صحيحة في ذاتها صادقة على انفرادها. أقول: لو افترضنا إسقاط (الواو) من هذه المتواليات والتَّتابعات الجُمليَّة الموصولة مع بعضها، فهل ثمَّة نصّ؟!. يبدو أنَّ الافتراض نفسه لا يستقيم منطقه؛ لأنَّه افتراض قائم على فكرة إمكان الإسقاط، ناهيك بانعدام السَّبك، وهذا لا يمكن أن يَرِد في نصِّيَّة نصّ يعيش في ضوء تصوّراتها النَّصُ ذاته، ليكون ذا معنى دلاليّ مستمر. إنَّ عالم النَّصّ هنا ترجم سلوكاً اتخذ من الوصل/العطف بالواو فعلاً جعل منه المكوِّنَ والبانيَ، والموثّق والحادي لكلّ مستنداته ووثائقه، وليس له من قائد يمنع حصنه من التّفكُّك إلا هذا التَّرابط والاتّساق النَّحويّ.

وكذلك القول وما يتجلَّى فيه من مركزيَّة الرَّبط بالواو، في هذا النَّصّ، وهو قوله "φ": "**وَبِنُورِكَ الَّذي قَدْ خَرَّ مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْناءَ، وَبِعِلْمِكَ وَجَلالِكَ وَكِبْريائِكَ وَعِزَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ الَّتي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ، وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ، وَانْزَجَرَ لَهَا الْعُمْقُ الْأَكْبَرُ، وَرَكَدَتْ لَهَا الْبِحارُ وَالْأَنْهارُ، وَخَضَعَتْ لَهَا الْجِبالُ، وَسَكَنَتْ لَهَا الْأَرْضُ بِمَناكِبِها، وَاسْتَسْلَمَتْ لَهَا الْخَلائِقُ كُلُّها، وَخَفَقَتْ لَهَا الرِّياحُ في جَرَيانِها، وَخَمَدَتْ لَهَا النّيرانُ في أَوْطانِها، وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عُرِفَتْ لَكَ بِهِ الْغَلَبَةُ دَهْرَ الدُّهُورِ، وَحُمِدْتَ بِهِ فِي السَّماواتِ وَالْأَرَضينَ...**"(١٨٤).

هكـذا:

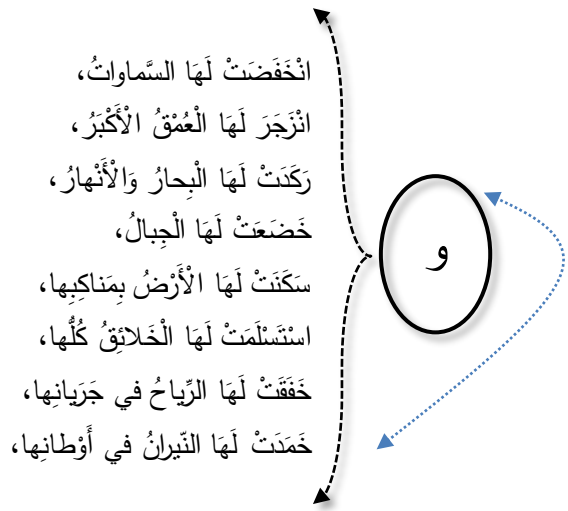

نحو نصيّات أُخَر ـ خطِّيَّة التَّوابع، وأفق النَّظم العلائقيّ النَّصّيّ:

لا يخفى ما لقيم المدوَّنة النَّحويَّة التَّقليديَّة في قراءة التَّوابع وثقافتها من أهمِّيَّة بنائيَّة فهم نحو الجملة وبرامجها التَّحليليَّة، ولقد بنى عليها بعض النَّصِّيين المحدثين(١٨٥) مبادئ من المقاربة، لينتهج بعضاً من قيمها في التَّفسير والتَّحليل، كالإبدال مثلاً، والدعوى أنَّها خارجة عن سياق التَّحليل النَّصِّيّ، غير متجاوزة لذات الجملة، وهو إدراك عام لدى النَّصِّيين المحدثين.

والذي يبدو لي أنَّه يمكن حسابها برامج في التَّحليل النَّصِّيّ الممتدّ، اعتماداً على مفهوم نحو التَّرابط النَّصِّيّ في مفهومه المتقدِّم، من كونه طريقة مخصوصة في بناء اللاحق على السّابق في سياق منظَّم يظهر به النَّصّ متماسكاً متسقاً، ولا ريبَ؛ ذلك لأنَّ توصيف مكوِّن نصِّيّ، على الرغم من إفراده، يمكن أن يرتبط بجملة سابقة عليه، فضلاً عن كون هذه الوسائل: التوابع، هي عبارة عن ثنائيّات مخصوص في التَّكوين النَّظميّ القواعديّ، وهذا ما نجده في "دعاء السِّمات"، سواء أكانت نصِّيَّة النَّعت: صفة وموصوف، منها، أو التَّوكيد: مؤكَّد وموكِّد، أو الإبدال: مبدل ومبدل منه، ناهيك بنصِّيَّة العطف الذي تقدّم بنا توصيفه.

ففي ـ نصِّيَّة الوصف ـ المركّب الوصفيّ، نجد قوله "φ": "وَبِجَلالِ نُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ، وَأَعَزِّ الْوُجُوهِ، اَلَّذي عَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْواتُ، وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخافَتِكَ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِكَ وَتُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا. وَبِمَشِيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ،..."(١٨٦).

وكذلك قوله "φ": "وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ، وَلِإِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ في مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَلِإِسْحاقَ صَفِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بِئْرِ شِيَعٍ، وَلِيَعْقُوبَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بَيْتِ إيلٍ،..."(١٨٧). وكذلك قوله "φ": "وَبِطَلْعَتِكَ في ساعيرَ، وَظُهُورِكَ في جَبَلِ فارانَ بِرَبَواتِ الْمُقَدَّسينَ، وَجُنُودِ الْمَلائِكَةِ الصَّافّينَ، وَخُشُوعِ الْمَلائِكَةِ الْمُسَبِّحينَ، وَبِبَرَكاتِكَ الَّتي بارَكْتَ فيها عَلى إِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبارَكْتَ لِإِسْحاقَ صَفِيِّكَ في أُمَّةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وَبارَكْتَ لِيَعْقُوبَ إِسْرائيلِكَ في أُمَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ،..."(١٨٨).

فكلّ هذه المكوِّنات، وأعني منها: ما فوق الخطّ، هذا إذا تركنا علاقات أشباه الجمل، جسّدت علاقة اتساقيَّة، صحيح أنَّها على مستوى نحو الجمل والجملة، ولكن صحيح أيضاً أنَّها علاقة ترتبط بسياقاتها القبليَّة، وهذه علاقة نصِّيَّة داخل النَّصّ؛ لا تخرج عن دائرة وصفه الكُلِّيّ.

وأمَّا في نصِّيَّة التَّوكيد ـ المركَّب التَّوكيدي، ففي قوله "φ": "وَخَضَعَتْ لَهَا الْجِبالُ، وَسَكَنَتْ لَهَا الْأَرْضُ بِمَناكِبِها، وَاسْتَسْلَمَتْ لَهَا الْخَلائِقُ كُلُّها،..."(١٨٩).

وأمَّا في نصِّيَّة البدل ــ المركَّب البدليّ، ففي قوله "φ": "وَأَسْأَلُكَ اللّهم بِمَجْدِكَ الَّذي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرانَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الْمُقَدَّسينَ..."(١٩٠). وكذلك قوله "φ": "وَبارَكْتَ لِحَبيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ في عِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَأُمَّتِهِ"(١٩١).

كم من توصيف إذن، افتقد إجراءه نحوُ النَّصّ، حين لم يبال بمبادئ التَّرابطيَّة النَّحويَّة التي يمكن أن تجري في ضوء سياقاته التَّحليليَّة!، إنَّ منطق التَّمثيل كبرهانٍ فيه من النَّظر ما تقتضيه قراءات أُخَر.

المدار الثَّالث: التَّرابط المفاهيميّ ـ عالم النَّصّ، المعنى وفلسفة التَّكوين:

لم تكن المدوَّنة النَّصِّيَّة تنظر إلى النَّصّ على أنَّه مجرَّد شكل/صورة مكوَّنة من الوحدات الصَّرفيَّة أو من الرّموز اللُّغويَّة فحسب، بل كانت تنظر إليه نظرة على أنَّه نظام فعَّال، وتجلٍّ لعمل إنسانيّ ينوي به شخص ما أن ينتج معنًى دلاليّاً ينظم فيه ما يشاء من ظواهر العالم ومعلوماته وأحداثه اليوميَّة، ثُمَّ يوجّه السّامعين به إلى أن يبنوا عليه تصوُّرات وعلاقات من أنواع مختلفة(١٩٢).

ولا ريبَ في أنَّ هذه النَّظرة الإنتاجيَّة الدَّلاليَّة للنَّصّ لا تستقيم مدركاتها إلا بمقولات التَّرابط النَّصِّيّ ـ الاتساق المفاهيميّ؛ وذلك لأنَّ النَّصّ إذا كان يمشي خطوة ما بالعلاقات النَّحويَّة، فتمامها في خطوته التالية، وهي تنظيم المفاهيم والعلاقات الدَّلاليَّة ـ المنطقيَّة فيه؛ ولذلك كانت المزواجة بين هذه المفاهيم والعلاقات سطحاً وعمقاً في عالم النَّصّ: الموازي الإدراكي/المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة(١٩٣)، محطّ أنظار النَّصِّيين في تفسير مخرجات النَّصّ: نقل المعاني، والاستمرارية الدَّلاليَّة فيه. يقول "دي بوجراند": إنَّ "النَّصّ الخالي من المعنى أو غير المعقول هو النَّصّ الذي يعجز مستقبلوه عن اكتشاف مثل تلك الاستمرارية فيه. ويعود هذا في العادة إلى وجود خلل كبير في المزاوجة بين تشكيلة المفاهيم والعلاقات التي يعبّر عنها النَّصّ وبين المعرفة القبليَّة للعالم في أذهان المستقبلين"(١٩٤).

ولهذا اتّخذ من النَّصّ، بوصفه البنائيّ المفاهيميّ، أنموذجاً للتحليل والتَّفسير النَّصِّيّ؛ فهو يرى أنَّ عالم النَّصّ "ذو قدرة عظيمة على التّماسك"(١٩٥)، وهذا يتحقّق بأمور ثلاثة، تسبقها معرفة/فطرة سليمة من مستعملي النَّصّ، قادرة على ملاحظة المسافات بين المفاهيم والعلاقات التي يعرضها النَّصّ، ثم تنظيمها دلاليّاً. وأمَّا الأمور الثلاثة، فهي(١٩٦): ١. المادة المعرفيَّة التي يثيرها النَّصّ. ٢. المعهود المعرفيّ الذي يتعلّق بأذهان مستعملي النَّصّ. ٣. الاستدلال عندما ملاحظة الفجوات بين نقاط في مساحة المعلومات والمفاهيم النَّصِّيَّة.

وبدهي أنَّ هذه المسائل والقضايا: مقولات المفاهيم والعلاقات التي تُثار في عالم النَّصّ، أمور ليس من السَّهل تحصيل بيانها النَّصِّيّ والدَّلاليّ القصديّ؛ بسبب من تداخلها من جانب وتوقُّفها على الاستدلال والاستنتاج والمعرفة الكُلِّيَّة لعوالم متعدِّدة كان النَّصّ فيها مركز التَّكوين، من جانب آخر، وهي علاقات، بحسب النَّصّيين(١٩٧)، منطقيَّة، وروابط فكريَّة، يستند تحصيلها المعرفيّ إلى فعل من قراءة، وتأمُّل من فكر، وفهم متعال للنصّ؛ بوصفه "وحدة دلاليَّة، وحدة من معنى،..."(١٩٨)، وإجراءً من تأويل في إطار مفهوم الاتّساق: الذي يعني: "خاصيَّة سيمانطيقية للخطاب، قائمة على تأويل كلّ جملة مفردة متعلِّقة بتأويل جملة أخرى"(١٩٩)، وذلك كالعِلَّة والمعلول، والتَّفصيل والإجمال، والتَّشارط المتحقِّق والافتراضيّ، وسواها من المباني الكبرى، ناهيك بتوصيف الوصل الذي تقدَّم ذكره في نصِّيَّة العطف، وهي "علاقات منطقيَّة ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامّة هي السَّبب والنَّتيجة"(٢٠٠).

وفي "دعاء السِّمات"، من هذه العلاقات ما مفهومه ترتيب الوقائع والأحداث ـ التَّسلسل الزمني، ومفاهيم أُخَر في تكوين فلسفة عالم النَّصّ.

فمِن ذلك مثلاً قوله "φ": "**وَبِمَشيَّتِكَ الَّتي دانَ لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزِينَةً وَرُجُوم لِلشَّياطِينِ. وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ، وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ، وَقَدَّرْتَها فِي السَّماءِ مَنازِلَ فَأَحْسَنْتَ تَقْديرَه،...**"(٢٠١).

ومنه أيضاً، فضلاً عن **التَّرابط الاستدراكي**، قوله "φ": "**وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، وَبِمَجْدِكَ الَّذي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسى كَليمِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في طُورِ سَيْناءَ، وَلِإِبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ في مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَلِإِسْحاقَ صَفِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بِئْرِ شِيعٍ، وَلِيَعْقُوبَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ في بَيْتِ إيلٍ، وَأَوْفَيْتَ لِإِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِميثاقِكَ، وَلِإِسْحاقَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِحَلْفِكَ، وَلِيَعْقُوبَ بَشَهادَتِكَ، وَلِلْمُؤْمِنينَ بِوَعْدِكَ، وَلِلدَّاعينَ بِأَسْمائِكَ فَأَجَبْتَ**"(٢٠٢).

ومنه كذلك، أيضاً، ولكن بقيد من تقديم؛ لئلا يختل الانسجام الدَّلاليّ، ويُتصوّر غير المطلوب القصدي في سياق اعتيادي، قوله "φ": "**وَجَاوَزْتَ بِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ الْحُسْنى عَلَيْهِمْ بِما صَبَرُوا، وَأَوْرَثْتَهُمْ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتي بارَكْتَ فيها لِلْعالَمينَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَمَراكِبَهُ فِي الْيَمِّ**"(٢٠٣).

ففي هذا النَّصّ نجد ما يأتي: ١. ترتيب عالم النَّصّ، بصورة متسلسلة، وذلك في خلق معالم الكون وشموله، فكلّ فعل متوقِّف عليه التّالي، وهو تسلسل منطقيّ، يعكس مسارات العالم الواقعيّ وإنشاءاته، والنَّصّ تجلٍ وتعبير عنه، موافق له في دلالته ومفهومه، هكذا: (خَلَقْتَ الظُّلْمَةَ أولاً وَجَعَلْتَها

لَيْلاً، ثانياً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً ثالثاً، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ رابعاً وَجَعَلْتَهُ نَهاراً خامساً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً سادساً)، ثم (خَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ أولاً وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياءً ثانياً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ ثالثاً وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً رابعاً). ٢. كلّ من (الشّمس والقمر)، داخل في خلق الظّلمة والنّور، والليل الذي يوافق القمر والنّهار، الذي يستلزم الشّمس. ٣. وفيه أيضاً تفصيل بعد إجمال، وذلك في قوله: (وَبِحِكْمَتِكَ الَّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ)، فمفهوم (العجائب)، يمكن جداً أن يدخل تحته كلّ ما يليه من سرديات النَّصّ وأحداثه، فكلّ هذه الخلائق، هي (عجائب)، وتفصيلها: (وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً، وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً،.إلخ). وكذلك إجمال(الكواكب)، وتفصيلها في مجموعتها: (نُجُوماً وَبُرُوجاً، وَمَصابيحَ وَزينَةً). ولعلَّها من التَّفصيل ما تقود إلى تكرير أنفسها تفسيراً وبياناً؛ لأنَّ الشمس والقمر بضمن مقولة (الكواكب)،وكلٌّ له مشارق ومغارب، وهكذا، على نحو معكوس،حتَّى كأن الإجمال داخل في التَّفصيل

وفي النَّصّ الثاني، نجد التَّرتيب واضحاً في أسماء الأنبياء وواقعها الزمني، ولعلَّ قوله "φ": "وَلِإبْراهيمَ خَليلِكَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلُ في مَسْجِدِ الْخَيْفِ"، وسائر الأنبياء "β" الذين هم قبل النّبي موسى "φ" استدراك سابق للمعرفة، ووسيلة الربط (مِنْ قَبْلُ)، والتَّرتيب ظاهر، وكذلك وفاء الميثاق والعهد، وسائر المفاهيم الأُخَر.

وفي النَّصّ الثالث، نجد فيه إثارة من معرفة سابقة، تترتَّب عليها معرفة لاحقة، ولكنَّها تأخَّرت في التَّرتيب والتَّسلسل المنطقيّ؛ لعلّة منطقيَّة وسببيَّة أخرى، فالقضيَّة الأولى: (وَجَاوَزْتَ بِبَني إسْرائيلَ الْبَحْرَ)، وتاليها في التَّرتيب الحدثيّ، القضيَّة الثانية (وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَمَراكِبَهُ فِي الْيَمِّ)، ولكنَّ التَّقديم هذا يورث خلّلاً في الاستمرار الدّلاليّ على الرّغم من إلزامه واقتضائه؛ وذلك لئلا يكون (فرعون وجنوده)، بضمن النَّتائج الإيجابيَّة في قضيَّة: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ الْحُسْنى عَلَيْهِمْ بِما صَبَرُوا، وَأَوْرَثْتَهُمْ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا الَّتي بارَكْتَ فيها لِلْعالَمينَ).

ومن العلاقات أيضاً ما يدخل تحت مفهوم "التَّشارط" ـ وهو الشَّرط ومستلزماته: التَّحقيقيَّة منها والافتراضيَّة، ولقد يتضافر هذا الإجراء الشَّرطيّ؛ بسبب من أسلوبيَّة التَّوظيف الأدائيّ الذي يتخذ من التَّرابط النَّحويّ وسيلةً، ثُمّ نحواً من دلاليَّة منطقيَّة، ناهيك باستلزامه الذي يدخل تحت فلسفة عامة من الأسباب والنَّتائج، وهي علاقات/روابط تفضي إلى تماسك عالم النَّصّ، وحتميَّة اتساقه. فمِن ذلك مثلاً قوله "φ" :"**اللَّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظيمِ الْأَعْظَمِ، اَلْأَعَزِّ الأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، اَلَّذي إذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَغالِقِ أَبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وإذا دُعيتَ بِهِ عَلى مَضائِقِ أَبْوابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ بِالرَّحْمَةِ انْفَرَجَتْ، وإذَا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وإذا دُعيتَ بِهِ عَلَى الْأَمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وإذا دُعيتَ بِهِ عَلى كَشْفِ الْبَأْساءِ وَالضَّرّاءِ انْكَشَفَتْ**"(٢٠٤).

فالنَّصّ بلا ريبٍ يقوم على فلسفة الأسباب الدُّعائيَّة والنّتائج المتحقّقة، ومنطقيّاً لا نتائج بلا مقدّماتها، وهذا ما يصدِّره الأسلوب الشَّرطيّ ثمَّة، وطبيعته اللُّغويَّة التي تُفصح عن علاقاته المنطقيَّة، وفلسفته التَّكوينيَّة الدَّلاليَّة، برهانٌ استدلاليّ منه عليه، ووسيلة تُعرب به عنه، إنَّه إنجاز بالوعد، لكي تتحقَّق غاياته ينبغي أن تتعيَّن مقدِّماته، وهي مفاهيم ومستندات قبليَّة يقتضيها الإيمان شرطاً، والامتلاك يقيناً لهذه الأسماء العظيمة؛ ليتحقق ذلك الإيجاب المطلوب، والمعنى المرغوب. وهكذا كما في هذه الخطاطة اليسيرة:

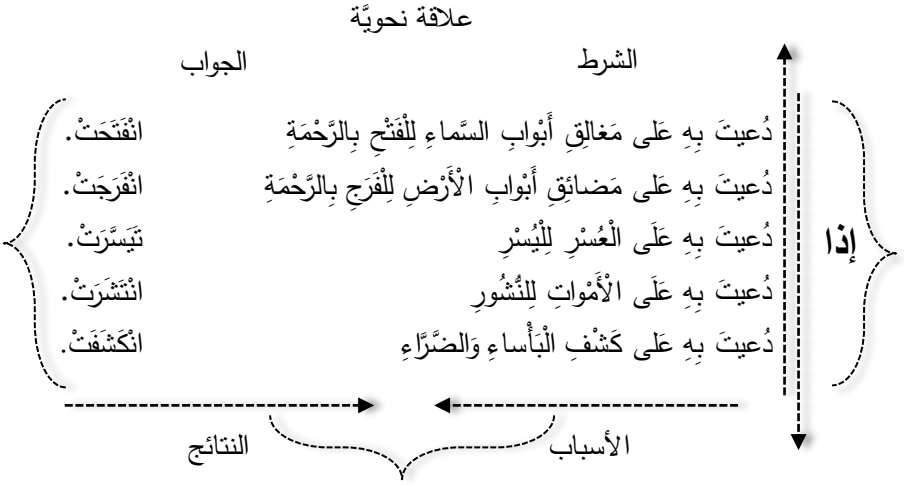

علاقات منطقية ـ دلالية ـ تشارطية

أقول: كم يتعاضد واقع اللُّغة الرَّصفيّ في العلاقات النَّحويَّة واللُّغة الطبيعيَّة، ثمَّة، بواقع المنطق المفاهيميّ في العلاقات والمفاهيم الدَّلاليَّة النَّصِّيَّة.

لقد شكَّل التَّكوين النَّصِّيّ من ركني التَّوصيف: التَّرابط الرَّصفيّ، والتَّرابط المفاهيميّ، ثمَّة، شخصيَّة المعنى الدَّلاليّ في النَّصّ في: ١. كون المصدر المدعو له، نهايته فعل، ليكون الجواب نفسه، بمعنى: إذا كان الشَّرط مطلوباً لهذا المعنى اسماً، فالجواب نفسه فعلاً، حتَّى تحوّل إلى حركة فعليَّة منقطعة بالإجابة. ٢. تنظيم العلاقات والمفاهيم، حتَّى صار بهما متناظراً، كأنَّه في مرآة تعكس صورته، فيرى استمراره، فالصُّورة هي النَّصّ نفسه: عالمه المصوِّر للمعنى والمعلومات المنشطة للإدراك والاستدلال، وخارجها الواقع العالم المبتغى في الطَّلب الدُّعائيّ، وهو التَّحقيق، والنَّتائج منه قاب قوسين أو أدنى.

المدار الرابع: الأبنية النَّصِّيَّة الكبرى:

من المؤكَّد أنَّ النَّصّ يقوم على موضوعه الإنشائيّ، وهذا الأخير يمثِّل سمته العليا، وأبنية تشكيله المفاهيميّ الكبرى، وكلٌّ يشكِّل شبكةً من التَّوالي والتَّتابع الخطِّيّ، ويرتبط بخصوصيَّةٍ تكوِّن فاعليتها الإجرائيَّة المفاهيمُ النَّصِّيَّة، والموضوع الدَّلاليّ الرئيس في النَّصّ هو الهدف.

ولقد قدَّم الدَّرس اللِّسانيّ النَّصِّيّ اقتراحات[٢٠٥] عن كيفيَّة فهم الموضوع النَّصِّيّ، منها ما اقترحه "فان دايك" من معالجة لفهم النَّص: "فهم المضمون العام للنصّ"[٢٠٦]، بالاستناد إلى ما فيه من توصيف للأبنية الكبرى، يقول: "نرى أنَّ أسس الدَّلالة المجرَّدة للنصّ تؤسِّس أيضاً الفهم الحقيقيّ للنصّ. نفترض أنَّه توجد إلى جانب فهم الجمل، والتَّتابعات الجمليَّة عمليَّة موازية، يُفهم من خلالها نصّ ما فهماً كُليّاً أيضاً. هذا الفهم الكُلِّيّ يدلّل على أنَّه غير مهمّ بالنّسبة لتنظيم معلومة كُلِّيَّة في النَّصّ في ذاكرة "المدى الطويل"، بل بالنّسبة لإمكانيَّة تفسير العلاقات الأساسيَّة الأفقيَّة وعلاقات تماسك دلاليّ أخرى بين قضايا الأساس النَّصِّيّ"[٢٠٧].

ولأنَّ هذا الموضوع النَّصِّيّ: "فهم المضمون العام للنصّ"، قد يتّفق ويختلف بحسب التَّلقّي/القراءة، إذ قد تكون قضيَّة ما بنية كبرى بالنِّسبة إلى أُخرى صغرى، في نصّ ما، والعكس. لأنَّ الأمر كذلك اقترح "فان دايك" معايير تجريديَّة عالية، لها صلة وثيقة بـ"المستوى الإداكيّ"، وظيفتها الأساسيَّة إعادة بناء الموضوع النَّصِّيّ واختصار معلوماته الدَّلاليَّة، تُسمَّى: القواعد الأبنية الكبرى. يقول: "يجب إذن أن يستنبط الموضوع من النَّصّ. ومن ثُمَّ تكون القواعد الكبرى إعادة بناء شكلي "صوري" لهذا الاستنباط للموضوع، حيث يكون موضوع نصّ ما بدقّة هو نفسه ما أطلقنا عليه البنية الكبرى، أو جزءاً منها"[٢٠٨]. وهذه القواعد هي[٢٠٩]: ١. الحذف، ٢. الاختيار، ٣. التَّعميم، ٤. التَّركيب/الإدماج.

فهذه القواعد عند التَّوظيف تكون هي المسؤولة عن تكوين نصّ ثانٍ مشتقّ/مستنبط من الفهم الكُلِّيّ للنصّ الأصليّ، فضلاً عن معرفة العالم، وذلك باختصاره واختيار قضاياه الأساسيَّة المعقَّدة، ثُمّ تركيبها من جديد في قراءة ثانية تكون عبارة عن اختصار بيانيّ لموضوعه: عمّاذا يتحدَّث؟، وما هدفه وغايته[٢١٠]؟.

وعند إجراء هذه القواعد على "دعاء السِّمات"؛ بيانَ موضوعه واستنباط قضاياه، نجده يقوم على موضوعات أساسيَّة تشكِّل فيه قضايا وأبنية كبرى، وأخرى صغرى، ولعلَّ بعضها يتداخل في بعض، وكلٌّ منها قد ارتبط بالموضوع الرئيس ما شكَّل سمة جوهريَّة في التَّماسك الدَّلاليّ للنَّصّ، وذلك على نحو ما يأتي:

١. الاسم الأعظم، **أ.** الصّفات الإلهيّة: القدرة والعلم والحكمة والمشيئة، **ب .** إنجاز الوعد وتحقيقه بالرحمة ، ٢. خلق الكون والسماوات والأرض. أ. الأفلاك، والكواكب. ب . العجائب الدنيويّة، ٣. تعظيم الأنبياء، أ. بيان معاجزهم الإلهيّة، ب، التّأييد الرّباني لهم. ج . ما للنبي موسى "φ" من خصائص التّكليم، ٤. الأماكن والظّروف المقدّسة ـ التّجلّي الإلهيّ. ٥. الصّلاة على النّبي ϑ.

أقول: هذا ما يمكن أن يرصد من قيم الأبنية الكبرى، وهي كما نلاحظ بعضها يتداخل في بعض، وكلّ منها قد ألّف موضوعاً مخصوصاً في نصّ "دعاء السِّمات"، وارتبط بمضمونه المحوريّ الرئيس الأعلى، وهو الاسم الأعظم، ذلكم المعنى الكُلِّيّ المقدَّس الذي ينظر إليه كلّ جزء من أجزاء شبكة النَّص، وصار له من وسائل التَّعبير عنه، والتَّرابط لمكوِّنات وصفهِ ما شأنُه اللُّغة من جهة، والعلاقات المنطقيَّة والمفاهيم الدَّلاليَّة من جهة أخرى، ولعلَّ ما تقدَّم من مراصد التَّرابط النَّصِّيّ: رصفاً ومفهوماً، دليلٌ صادق برهانُهُ على هذا، قاض بنصيته، داع إلى تماسكه واتساقه.

وهل ثمَّة موضوع نصِّيّ أعلى ممَّا سبق؟!. يبدو أنَّ فيه: "دعاء السِّمات"، مفهوماً أعمَّ، وهو التَّعظيم والتَّسليم المطلق له سبحانه وتعالى، ليس من الإنسان فحسب، بل من كلّ خلائقه تبارك اسمه، وهو محور النَّصّ الأعلى، ويترشَّح منه أيضاً محور فرعيّ مقصود بالطَّلب، وهو التَّذلُّل، وإظهار الضَّعف، والخضوع له تعالى وتقدَّس.

يمكن النَّظر إلى بنية النَّصّ الكبرى، إذن بطريقين: الأولى: من الأعلى، ومحورها الاسم الأعظم والقدرة المطلقة، إلى الأسفل، ومحورها الإنسان وفقره وضعفه المطلق. وأمَّا الطريق الثانية فبالعكس، في مفهوم عامّ، من النَّقص إلى التَّكامليَّة، وأيّ من السَّبيلين، سيكون "دعاء السِّمات" فيه، هو الكاشف عن محاور هذه القضايا، ومباني الطَّلب الكبرى.

المدار الخامس: "دعاء السِّمات" والمعايير النَّصِّيَّة الأُخَر:

ليست النُّصوص على وتيرة واحدة، بل هي مخصوصة بموضوعها وتصنيف خطابها النَّوعيّ، وإذا كانت نصِّيَّة النَّصّ تقترح معايير معيَّنة يظهر بها النَّصّ قيمةً دلاليَّةً، وبلاغةً في وحدة تواصليَّة تختصّ بأركانها السَّبعة المقترحة تلك التي تقدَّم ذكرها في أوَّل البحث، فهل ينسحب هذا التَّوصيف على نصِّيَّة عباديَّة، كـ"دعاء السِّمات"؟، بل هل يتّصف نفسه بالنَّصِّيَّة، إذا كان مكتفياً بالتَّماسك النَّصِّيّ فحسب؟!. وإذا كان متّصفاً بها، فهل نجد فيه من معاييرها السُّباعيَّة ما يماثل رعاية الموقف/المقاميَّة، والمقبوليَّة، والقصديَّة والإعلاميَّة، تلك المعايير التي تتوقَّف عليها نصِّيَّة النَّصّ، ثُمَّ توصيفه بالنَّصِّيَّة وامتيازه النَّصِّيّ بها؟!.

يبدو أنَّ الإجابة تأخذ مناحيَ متعدِّدة؛ لاختلاف جهات التَّلَقِّي ثمَّة، وهو الأمر الذي يقتضي أن نخلق سياقات متعدِّدة، ونفترض مقولات أُخر مختلفة؛ إيفاءً بتصوُّر الاستفهام.

معلوم أنَّ سياق النَّصّ يشتمل على أركانه: المنشئ، والمتلقِّي، والقناة الإرساليَّة/الرِّسالة، والدُّعاء، بوصفه نصّاً، له ما لهذا التَّصوُّر من قراءة السِّياق الاعتيادي، سوى خصوصيَّة في ركن التَّلَقِّي/المخاطَب؛ وهو الله تبارك وتعالى "علّام الغيوب"، الذي "ليس كمثله شيء".

وهذه الجهة ـ الحضرة القدسيَّة الأعلى ـ فيما يبدو لي، ليس فيها من مطالب النَّصِّيَّة شيء يُنْظَر، أو معيار يُذْكَر، سوى اعتبار تقاليد الإنسان الرَّفيعة، والأخلاق السَّاميَّة، والسّلوكيَّات المهذَّبة، كما في الخطاب الاعتياديّ، وهو الذي ينسحب مداره التَّقليدي في رحاب الدُّعاء وآدابه وشؤونه القصديَّة، وأعرافه العباديَّة، وإلا فهل تحتاج هذه الجهة القُدسيَّة إلى مثال من: إعلاميَّة، وهذه قائمة على كَسْر أفق التَّوقُّع، مثلاً، أو أن تكون في رعاية موقفٍ ومقاميَّة، وهي شاهدة على كلّ شيء قبل النُّطق والتَّفكير، أو مقبوليَّة، بوصفها النِّسبيّ الاعتيادي، وليس العباديّ، ثُمَّ بعد ذلك نحتاج إلى قراءة من استدلالها، أعني: من هذه الجهة القدسيَّة، وربطها لهذا المفاهيم والعلاقات النَّحويَّة والمنطقيَّة والدَّلاليَّة النَّصِّيَّة، كي يكون النَّصّ نصّاً مستمراً في دلالته غير منقطع في بلاغته؟!، حاشا لله تعالى وتقدَّس!.

لي أنْ أقول إذن: إنَّ هذه المعايير تنعدم مطلباً ثمَّة، سوى استصحاب افتراض اعتياديات الخطاب الإنسانيّ وأنساقه الثَّقافيَّة. وهذه الجهة الثانية في التَّصوُّر هي السِّياق الثاني الذي تحاول الإجابة افتراضه، وهذا بدوره، أعني: سياق التَّلَقِّي الثاني، ينقسم ليكون فيه المتلقِّي، هو: ١. الدَّاعي نفسه مرةً، و٢. السَّامع الآخر مرةً أخرى، وكلٌّ منهما يمكن أن تستقيم معهما قراءة إجراء الإعلاميَّة تعريفاً وجدَّة في شعور عباديّ، وتعظيماً لمعبود، وتقديساً لمدعو، ثُمَّ خلْق افتراضِ سياق الموقف، استرجاعاً فكريّاً وتأمّلاً في تبصرة واعتبار، ومقبوليَّة فيها، توثيقاً واستمراراً، وقصديَّةً فيها، تأكيداً ونيَّةً، وتحقيقاً لغاية، هكذا: أدعوك ياسيدي العظيم، بمذكَّرة الكون الذي خلقته وأنشأته وأحسنته ودبَّرته باسمك العظيم الأعظم، الشاهد عليك قدرةً وعظمةً، وبكرامة الأنبياء عندك، أن تصلِّي على محمد وآله الطَّاهرين، وأن تحقِّق رغبتي فيك، وفي ما أرجو وأطلب، فأنا الضَّعيف، الذَّليل، الطّائع، المسلِّم لك في كلّ شيء، تباركتَ وتعاليتَ...

وبعدُ أقول: تبقى النَّفس الإنسانيَّة تتوق إلى إجابة من ربّها العظيم الأعظم، وتأمل في رحمته الواسعة، وترغب في فضله تعالى، لعلمها وإيمانها به عزَّ وجلَّ، ومَن أهل لذلك إلا هو سبحانه تبارك اسمه، ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ (٢١١).

الخاتمة

يمكن أن نجمل أهمّ النتائج التي انتهت إليها رُؤى الدِّراسة مفهوماً وإجراءً، على نحو ما يأتي:

. سعت ميادين نحو النَّصِّيَّة إلى تكوين نسق خاصّ بالتَّفسير والتَّحليل النَّصِّيّ يعتمد على خصائص النُّصوص وسماتها، إجلاء تعريف بالنَّصّ مفهوماً، تلك الغاية التي لم تصل إليها اللسانيات النَّصِّيَّة؛ لشؤونه وتداخلاته مع معارف واختصاصات مختلفة.

. يمثِّل نحو النَّصِّيَّة جملة من المؤسِّسات والمعايير التي يتنجز النَّصّ في ضوئها، فما من قيمة نصِّيَّة لنصّ ما إلا بذلك الاعتمال الإنجازيّ، وهو المعتمد في الاستمراريَّة الدَّلاليَّة والتَّواصليَّة الإبلاغيَّة.

. شكَّلت مفاصل التَّماسك النَّصِّيّ في "دعاء السِّمات" قيماً تتوزَّع على معايير التَّكوين المخصوص في الدّعاء.

. كانت أنماط التَّكرار في "دعاء السِّمات" كثيرة جعلت منه تكويناً سهل المأخذ والفهم، ومنها: التكرار بالوحدة المعجميَّة وبالاشتقاق، وبالتَّرادف..

ـ عملت خصائص التَّرابط بالتَّضام في "دعاء السِّمات"، على الاستمراريَّة الدَّلاليَّة، وهي الغاية النَّصِّيَّة، وكان منها الإحالة النَّصِّيَّة الداخليَّة، بالمضمر، والإشارة والموصوليَّة، والإحالة الخارجية المقاميَّة، في الدَّاعي والمدعو، وكانت في الأخير الأكثر، وكذا الإشارة، والأسماء الشخصيَّة والظروف والتّعريف والحذف، على أنَّ مدار الاستبدال لم يرد فيه تمثيل واقعاً.

. أجرى الوصل/العطف والتَّتابع الخطِّيّ الموصول، في "دعاء السِّمات"، لنفسه شكلاً ظهر به النَّصّ متماسكاً، وكانت به الوصلات العطفيَّة هي المركز الفاعل لهذا التَّرابط الرَّصفيّ.

. أقام التَّرابط المفاهيميّ في "دعاء السِّمات" نحواً من خصائص التَّكوين المنطقيّ النَّصِّيّ، فكان منها التَّشارط والأسباب والنّتائج والإجمال والتّفصيل، وقد تتداخل بعضها في بعض؛ تكوينَ قيمة نصِّيَّة دلاليَّة عليا.

. يرتكز "دعاء السِّمات" على ثيمات/موضوعات كبرى، وصغرى، كون ترابطها النَّصِّيّ خصوصيَّة اختصار في عنوانه "سمات"، وهي الأسماء الحسنى والصِّفات الإلهيَّة العظمى.

. أنَّ سياق الدُّعاء له مستويات تتعلَّق بدائرة التَّلقِّي، فالمتلقِّي الأوَّل صحيح هو (الله) سبحانه وتعالى، ولكن صحيح أيضاً أنَّ هذه الجهة القدسيَّة، تختلف عن سائر الجهات الخطابيَّة، بل ليس ثمَّة مقاربة، ولا مقارنة تخطر في تصوُّر أو ذهن، وهو الأمر الذي يحتاج فيه النَّصّ إلى التَّأويل لإثبات

نصِّيّته، وتكوين خصوصيَّة افتراض تسحب آداب الخطاب الاعتيادي وأنساقه الثَّقافيَّة إلى الشَّأن العباديّ في الدُّعاء؛ استقامةَ الأركان والمعايير النَّصِّيَّة الأُخَر.

***

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- آفاق التناصيَّة، المفهوم والمنظور، مجموعة من المؤلفين، تعريب وتقديم، محمد خير البقاعي، ط١، جداول، بيروت . لبنان، ٢٠١٣م.
- اتجاهات لغويَّة معاصرة في تحليل النَّص؛ سعيد حسن بحيري، مجلة علامات، ج٣٨، م١٠، رمضان ١٤٢١هـ- ديسمبر ٢٠٠٠م.
- أسس علم لغة النَّصّ . التفاعل . النَّصّ . الخطاب، مرجوت هاينه مان، فولفجانج هاينه مان، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، مصر . القاهرة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- الأسلوبيَّة وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ٢٠٠٢م.
- إسهامات أساسيَّة في العلاقة بين النَّصّ والنَّحو والدَّلالة، مجموعة مقالات نقله إلى العربية وعلّق عليه، أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.
- أصول تحليل الخطاب في النَّظريَّة النَّحويَّة العربيّة . تأسيس "نحو النَّصّ"، محمد الشاوش، ط١، جامعة منّوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، تونس، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- الأنساق المعجميَّة في صفوة الصفات في شرح دعاء السمات، للشيخ الكفعمي، "ت٩٠٥هـ"، قراءة في ضوء نحو النص، د. عماد جبار كاظم داود، ديوان الوقف الشيعي، مجلة تراث كربلاء، تصدر من العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، السنة: ٧، ج٧، العددان الأول والثاني (٢٣، ٢٤)، شهر شوال المعظم ١٤٤١هـ- حزيران ٢٠٢٠م.
- بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة المجلسي (المولى محمد باقر بن محمد تقي، ت ١١١٠هـ)، ط٤، مؤسسة الوفاء، بيروت -لبنان، ١٤٠٤هـ.
- بلاغة الخطاب وعلم النَّصّ، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- تحليل الخطاب، ج. ب. براون، و: ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني، و: د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربيَّة السعوديَّة . الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تحليل الخطاب الشِّعريّ، "استراتيجيَّة التَّناص"" د. محمد مفتاح، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠٥م.
- التَّحليل اللُّغوي للنّصّ، كلاوس برينكر، ترجمة، وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط٢، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، مصر . القاهرة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- تفسير النَّصّ . أسس نظرية لغوية لعلم دلالة تفسيري، ديتريش بُوسِّه، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، مصر . القاهرة، ٢٠١٣م.

- الجنى الداني في حروف المعاني، المراديّ (الحسن بن قاسم، ت٧٤٩هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدَّلالة، د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- الدَّلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- الذات بين الضوء والمصباح .دراسة إبستمولوجية في إشكاليات النص وتعددية القراءة في رحاب الدرس اللساني الحديث، د. عماد جبار كاظم، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، كلية التربية، العدد ٣٧، ج٢، السنة: ١٢، ذو الحجة، ١٤٤١هـ- تشرين الثاني، ٢٠١٩م.
- شرح ابن عقيل، ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- شرح التَّصريح على التَّوضيح، أو التَّصريح بمضمون التَّوضيح في النَّحو، الأزهريّ (خالد بن عبد الله، ت ٩٠٥هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكُتُب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد، ت٧٦١هـ)، ومعه: كتاب منتهى الأرب، بتحقيق شرح شذور الذهب، محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.
- شرح الكافية البديعيَّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع؛ الحلِّيّ (صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي بن السنبسي، ت٧٥٠هـ)، تح: نسيب نشاوي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- صفوة الصِّفات في شرح دعاء السمات، الشيخ الكفعمي، (إبراهيم بن علي بن الحسن، ت٩٠٥هـ)، تحقيق: السيد حسين هادي الموسوي، ط١، العتبة الحسينية المقدمة، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة، شعبة إحياء التراث الثقافي والديني، كربلاء، العراق، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- العربيَّة من نحو "الجملة" إلى نحو "النَّصّ"، سعد مصلوح، الكتاب التذكاري لقسم اللُّغة العربيَّة، جامعة الكويت، إعداد: د. وديعة طه النجم، و د. عبده بدوي، ١٩٨٩- ١٩٩٠م.
- العلاماتيَّة وعلم النّص، مجموعة بحوث إعداد وترجمة، د. منذر عياشي، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م.
- علم الدَّلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٦، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- علم لغة النَّصّ، المفاهيم والاتجاهات، أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- علم لغة النص، نحو آفاق جديد، نقلها إلى العربية، د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- علم اللُّغة النَّصِّيّ بين النَّظريَّة والتَّطبيق، دراسة تطبيقيَّة على السّور المكيَّة، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- علم اللُّغة النَّصِّيّ. النَّظريَّة والتَّطبيق، أ. د. مصطفى صلاح قطب، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٤هـ.

- علم النَّصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، ط٢، دار القاهرة . مصر، ٢٠٠٥م.
- في البلاغة العربيَّة والأسلوبيّات اللِّسانيَّة، آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٤م.
- في اللسانيات العربية المعاصرة ـ دراسات ومثاقفات، سعد عبد العزيز مصلوح، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٥م.
- القاموس الموسوعيّ الجديد لعلوم اللِّسان، أوزوالد ديكرو، و جان ماري سشايفر، ترجمة: د. منذر عيّاشي، ط٢، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء . المغرب، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
- القاموس الموسوعي للتّداوليَّة، جاك موشلر ـ آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجذوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.
- لسانيات الخطاب ـ مباحث في التأسيس والإجراء، أ. د. نعمان بوقرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ٢٠١٢م.
- لسانيّات النَّصّ، عرض تأسيسي، كيرستن آدمتسيك، ترجمه إلى العربية: أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، مصر . القاهرة، ٢٠٠٩م.
- لسانيّات النَّصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . المغرب، بيروت . لبنان، ٢٠٠٦م.
- اللُّغة بين الثَّابت والمتغيّر، دراسة نصيَّة، أ. د. أحمد عفيفي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، د. نعمان بوقرة، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٨م.
- مدخل إلى علم لغة النص؛ روبرت دي بوجراند، وفولفغانع دريسلر، إلهام أبو عزالة، وعلي خليل حمد، ط١، دار الكاتب، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- مدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ فولفجانج هاينه مان، وديتر فيهفجر، ترجمة، أ.د. سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- مدخل إلى علم النَّصّ، مشكلات بناء النَّصّ، زتسيسلاف واورزنياك، أ. د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم النَّصّ ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي، ط١، الدار العربية للعلوم . ناشرون، بيروت . لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات والأحراز والعوذات، الشّيخ الكفعمي (تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي، ت٩٠٠هـ)، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ـ دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري . حمادي صمّود، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م.
- معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطوّرها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت . لبنا، ٢٠٠٧م.
- مقالات في تحليل الخطاب، تقديم، حمَّادي صمّود، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة . وحدة البحث في تحليل الخطاب، ٢٠٠٨م.
- نحو النَّصّ، اتّجاه جديد في الدَّرس النَّحويّ، د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

- نحـو الـنص بـين الأصـالة والحداثـة، د. أحمـد محمـد عبـد الراضـي، ط١، مكتبـة الثقافـة الدينيـة، القـاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- نسيج النَّصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً، الأزهر الزّنَّاد، ط١، المركز الثقافيّ العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
- الـنَّصّ والخطـاب والاتصـال، أ. د. محمـد العبـد، ط١، الأكاديميَّـة الحديثـة للكتـاب الجـامعيّ، القـاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الـنَّصّ والخطـاب والإجـراء، روبـرت دي بوجرانـد، ترجمـة: أ. د. تمّـام حسّـان، ط٢، عـالم الكتـب، القـاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- النَّصّ والسِّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدَّلاليّ والتَّداوليّ، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٠م.
- نظرية علم النص، رؤية منهجيـة فـي بنـاء النص النثري، د. حسـام أحمد فرج، ط٢، مكتبـة الآداب، القاهرة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- نظريَّة النَّصّ، من بنيـة المعنـى إلـى سيميائيَّة الـدال، د. حسين خمري، ط١، الدار العربيـة للعلوم ـ ناشرون، بيروت ـ لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- النَّظريَّة والنَّصّ، كتاب جمـاعيّ، قدّم لـه: آ. كيبيدي فارغـا، ترجمـة: د. منذر عياشـي، ط١، عـالم الكتب الحديث، أربد ـ الأردن، ٢٠١٣م.
- هَمْع الهَوَامِع في شرح جَمع الجَوَامِع، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ مصر.

الشبكة العالمية للعلومات ـ الانترنيت:

- **ويكيبيديا** الموسوعة الحرّة ـ الشبكة العالمية للمعلومات الانترنيت internet: "**مكعب روبيك**"، و"**الخوارزميات**" https://ar.wikipedia.org/wiki/.

****

الهوامش والتَّعليقات

(١) ويُسمَّى هذا الدّعاء بالشبُّور أيضاً علـى زنـة التنُّور، وقد وثقّت كتب الرواية والأدعية أنَّ "دعاء السِّمات" من مرويّات الإمامين الباقرين الصادقين: الإمام البـاقر، والإمام الصـادق، "χ"، ولقد ذكر هذه الرواية، وفضـل قراءة هذا الدّعاء، الشّيخ الكفعمي "ت٩٠٥هـ" في كتابـه: المصباح: ٥٣٦، وفي شرحه عليـه فـي كتابـه الآخر: صـفوة الصِّفات: ٦٥- ٧٢، وكذلك فعل الشَّيخ المجلسي "ت١١١٠هـ" في: بحار الأنوار: ٨٧/ ٩٥، فضـلاً عن أخذه من شرح الشَّيخ الكفعمي، مشيراً إليه في أغلب الفقرات أيضاً.

(٢) ينظـر: مـدخل إلـى علـم لغـة الـنص؛ دي بوجرانـد، ودريسلـر: ٩، والـنَّصّ والخطـاب والإجـراء؛ دي بوجرانـد: ٧١، والعلامانيَّة وعلم النّص، مجموعة بحوث مترجمة، منذر عياشي: ١٠٩، ومدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ فولفجانج هاينه مان: ٣، وأسس علم لغة الـنص؛ مرجوت هاينـه مـان: ١١٥، ولسانيات النص؛ كيرستن آدمتسيك: ١٦، والقاموس الموسوعي

الجديد لعلوم اللسان؛ أوزوالد ديكرو: ٥٣٣، ومعجم تحليل الخطاب؛ باتريك شارودو: ٥٥٣، وعلم لغة النص؛ نحو آفاق جديدة؛ سعيد حسن بحيري: ١٥، وعلم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات؛ سعيد حسن بحيري: ١٧، واتجاهات لغويَّة؛ سعيد حسن بحيري: ١٣٣، ونسيج النص؛ الأزهر الزَّناد: ١٤، وعلم اللغة النصي؛ مصطفى صلاح قطب: ٥٢، و١٦٩، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ٧٩، والعربية من نحو الجملة إلى نحو النص؛ سعد مصلوح: ٤٠٦، وفي البلاغة العربية؛ سعد مصلوح: ٢٢٥، وفي اللسانيات العربية المعاصرة؛ سعد مصلوح: ٢١٦، والنص والخطاب والاتصال؛ محمد العبد: ٧، واللغة بين الثابت والمتغيِّر؛ أحمد عفيفي: ١٩، ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ٢١، وعلم اللغة النَّصِّيّ: ١/ ٢٣، ومدخل إلى علم النص؛ محمد الأخضر الصبيحي: ٥٩، ونحو النص؛ أحمد محمد عبد الراضي: ١٦، ومدخل إلى التحليل اللساني؛ نعمان بوقرة: ١٧، ولسانيات الخطاب؛ نعمان بوقرة: ٥٣، والدلالة والنحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٢٤، والذات بين الضوء والمصباح: ٣٥.

(٣) النص والخطاب والإجراء: ٧١.

(٤) المصدر نفسه: ٧١.

(٥) المصدر نفسه: ٩٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٩٥.

(٧) المصدر نفسه: ١٠٣. وينظر: مدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ دي بوجراند، ودريسلر: ٢٥.

(٨) يذكر "فولفجانج هاينه مان": أنَّ "علم لغة النَّصّ فرع علميّ بكر، تشكّل تدريجياً في النصف الثاني من الستينيات والنصف الأوّل من السبعينيات. ومنذ ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهاراً عظيماً، وتشهد المراجع المتخصصة الوفيرة على القدر الكبير الذي شارك به هذا الوافد الجديد، مشاركة فعّالة مع العلوم اللُّغويَّة في استمرار تطوّر علم اللُّغة على وجه الإجمال". مدخل إلى علم لغة النَّصّ: ٣. وينظر: علم النص؛ فان دايك: ١٤. وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ٧٨. ولسانيّات النَّصّ؛ كيرستن آدمتسيك: ١٥.

أقول: يبدو لي أنَّ الفكر الإنسانيّ قد جال خاطره في هذا السّؤال قديماً، ابتداءً من اختراعاته للرمز، والإشارة واللغة، تلك الآيقونة التي تمثّل محوراً من محاور التاريخ الإنسانيّ نفسه، وتدوينه، إذ كيف نفهم الأديان السّماويّة والتاريخ الإنساني من غير نصّ/خطاب، وكيف يكون ذلك من غير لغة. لقد ترجم الإنسان نفسه باللُّغة، بوصفها نصّاً، فأصبح هو نفسه إجابة على هذا السُّؤال.

(٩) ينظر: النظرية والنص؛ مجموعة بحوث مترجمة: ؛ كيبيدي فارغا: ٥٠، ومدخل إلى علم النَّصّ؛ زتسيسلاف واورزنياك: ٥٣، ولسانيّات النَّصّ؛ كورنيليا فون، بضمن كتاب مقالات في تحليل الخطاب؛ حمادي صمود: ٥٠، وبلاغة الخطاب؛ صلاح فضل: ٢٢٩، وعلم لغة النص؛ نحو آفاق جديدة؛ سعيد حسن بحيري: ٤٧، و١١٣، وعلم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات؛ سعيد حسن بحيري: ١٨، و٩٣، وإسهامات أساسيَّة؛ سعيد حسن بخيري: ١٥٨، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ٨٢، وتحليل الخطاب الشعري؛ محمد مفتاح: ١١٩، ونظريَّة النَّص؛ حسين خمري: ١٧، و٣٥، و٤٣، والأسلوبيَّة وتحليل الخطاب؛ منذر عياشي: ١٢١، ومدخل إلى علم النَّصّ؛ محمد الأخضر الصبيحي: ٧٠، والذات بين الضوء والمصباح: ٣٥.

(١٠) ينظر: "مدخل أولي إلى علم النَّص"؛ بضمن النظرية والنص؛ كيبيدي فارغا: ٦٢.

(١١) المصدر نفسه: ٦٥.

يتوافق رأي "كيرستن آدمتسيك" كلياً مع "فان دايك" في موضوع مفهوم للنص وتحديده، يقول كيرستن: "إنَّ البحث عن تعريف للنص ملزم ومقبول بوجه عام، يبدو لي أنه ليس من المحال فحسب، بل لا طائل وراءه. فبدلاً من تعريف ضابط يحتاج إلى نظرة عميقة في خواص النص التي يمكن أن تمثل الأساس لوصف مميز". لسانيات النص: ٧٥. وينظر: المصدر نفسه: ١١١.

(١٢) ينظر: "مدخل أولي إلى علم النَّص"؛ بضمن النظرية والنص: ٦٢، وعلم النص؛ فان دايك: ١٤.

أقول: ينطلق فان دايك، في مدوَّنته: "علم النَّصّ" من فلسفة عالية إلى فلسفة أعلى، في توصيف النَّصّ بكونه مدخلاً متداخل الاختصاصات، ولذلك قدَّم للعلوم جميعها ونسيجها المعرفيّ الإنسانيّ ما يمثِّلها اختلافاً واتفاقاً في ضوء منهج ووظائف من نحو علم النَّصّ، إنَّه جامع لكلّ هذه الاختصاص، والماسك لخصوصيَّة توصيفها المعرفيّ دون مشكلاتها على الرغم من تشخيصها الموضوعيّ بالتَّعيين والامتياز، يقول: "تُعدّ النصوص وسياقاتها موضوعاً لبحوث وتعليم في أكثر من علم. فنحن ندرس، بالإضافة إلى العلوم اللِّسانيَّة والأدبيَّة، أيضاً النُّصوص في علم النَّفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والانتروبولوجيا، واللاهوت، وفي العلوم القانونية والتّاريخيَّة... ومع ذلك، فإنَّه من الممكن دراسة النصوص بشكل تتداخل فيه العلوم، ومثال ذلك حين تستطيع النصوص أن تختلف بنية ووظيفة. وإنَّ هذه المقاربة للنصوص، ولسمة العلوم المتداخلة والأكثر عمومية، قد تنبأ بها علم النَّصّ". "مدخل أولي إلى علم النَّص"؛ بضمن النظرية والنص؛ كيبيدي فارغا: ٦١ – ٦٢.

(١٣) آفاق التناصيَّة، مجموعة بحوث مترجمة: محمد خير البقاعي: ٤٥.

(١٤) التحليل اللغوي للنصّ: ٢٨.

(١٥) "النَّصّ"؛ جان ماري سشايفر، بضمن العلاماتية وعلم النَّصّ، مجموعة بحوث مترجمة، منذر عياش: ١١٩.

(١٦) أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٤٨.

(١٧) أسس علم لغة النص: ١١٩. وينظر: مدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ فولفجانج هاينه مان: ٤ – ٧.

(١٨) أسس علم لغة النص: ١٢٠. وينظر: المصدر نفسه: ١٧٠، و١٨٧ – ١٩٠.

(١٩) "مدخل أولي إلى علم النَّص"، بضمن النظرية والنص، كيبيدي فارغا: ٦٢. الخط العريض بسببي.

(٢٠) المصدر نفسه: ٩٧.

(٢١) دراسات لغويَّة تطبيقيَّة في العلاقة بين البنية والدلالة؛ سعيد حسن بحيري: ٧٠.

(٢٢) ينظر: الذات بين الضوء والمصباح: ٨٣. الهامش رقم: (٨٣).

(٢٣) "مدخل أولي إلى علم النَّص"؛ بضمن النظرية والنص؛ كيبيدي فارغا: ٦٥.

(٢٤) ينظر: أسس علم لغة النص: ١٢٠.

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٧.

(٢٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٦.

(٢٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٨،

(٢٨) يقول "فولفجانج هاينه مان": "يجب حقاً الاعتراف بأنّنا عند المقاربة الأوليَّة، يمكن أن نحدِّد بصعوبة المجال الذي يجب أن يندرج تحته "علم النص"؛ فكثير من الأشياء غير المتجانسة تحمل غالباً عنوان "لغوي نصّيّ". ومن الواضح أنّ هذا الفرع العلميّ ما زال من غير المستطاع أن يستند إلى تصوّر نظريّ موحَّد (أو على أقل تقدير إلى إطار تصوري)، بل

إنَّ القاسم المشترك بين أوجه الوصف اللغوية النَّصِّيَّة، على الأرجح، ناتج بوجه خاصّ عن عامل امبريقي، وهو أنَّ المرء يشتغل بالنّصوص". [مدخل إلى علم لغة النَّصّ: ٣]. ثم يقول: "ومن هنا يبدو أنَّه من المحتم أن يفصل بين الطرائق التي تعنى بالنَّصّ فحسب، وتلك التي تسعى إلى وصف كنه نصوص "كلية"، أي ـ في ضوء الحاجات الاجتماعية باستمرار ـ إلى تحديد مهام هذا الفرع العلمي وأهدافه، وتمييزه عمّا تستهدفه مجالات علميَّة قريبة منه". [المصدر نفسه: ٣]. إلى أن يصل إلى نتيجة، يقول فيها: "يتضح مدى صعوبة تلك المهمَّة من حقيقة أنَّه لم يتيسر حتَّى الآن وقوع إجماع على موضوع هذا الفرع العلميّ الجديد، على مفهوم "النَّصّ"؛ لذلك يجب أن تعدّ مسألة تحديد السمات الجوهرية للنصوص بوجه عام، أي: تلك الخواص التي تُعزا إلى كلّ نصّ على حدّه (سواء الوحدات النَّصِّيَّة التي أنتجت في الماضي أو من المحتمل أن ينتج منها) في مجالات الحياة الاجتماعيَّة كافة، وكذلك مسألة كيفيَّة عمل النُّصوص في الاتصال الاجتماعيّ، مشكلة لم تحلّ حتَّى الآن". [المصدر نفسه: ٣]. وينظر: لسانيات النص؛ كيرستن آدمتسيك: ٧٦.

(٢٩) مدخل إلى علم النصّ: ٦٠.

(٣٠) المصدر نفسه: ٦٠.

(٣١) النَّصّ والخطاب والإجراء: ٨١.

(٣٢) "**روبيك**"، هو لغز ميكانيكيّ ثلاثي الأبعاد اختُرع في عام ١٩٧٤م، من قبل النحات وأستاذ العمارة المجري "إرنو روبيك"، وكان قد سُمِّيَ في الأصل المكعَّب السحريّ، وحاز على جائزة أفضل لغز. ينظر: الموسوعة الحُرَّة . ويكيبيديا- الشبكة العالميَّة للمعلومات "الانترنيت" internet". "مكعَّب . روبيك:
"www.wikipedia.org/wiki".

(٣٣) تتصف "**الخوارزميَّة**" بأنَّها مجموعة من الخطوات الرياضيَّة والمنطقيَّة المتسلسلة اللازمة لحلّ مشكلة ما. وكان معناه في الأصل يقتصر على خوارزميَّة لتراكيب ثلاثة فقط، وهي: التسلسل والاختيار والتكرار. ينظر: الموسوعة الحرة ـ ويكيبيديا ـ الشبكة العالمية للمعلومات "الانترنيت" internet":
https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٣٤) الذات بين الضوء والمصباح: ٨٥، هامش رقم: (١١١). وينظر: المصدر نفسه: ٤٢.

(٣٥) ينظر: ولسانيّات النَّصّ؛ كورنيليا فون، بضمن كتاب مقالات في تحليل الخطاب؛ حمادي صمود: ٦٤- ٦٨، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات؛ سعيد حسن بحيري: ١٦٣، و١٨٣، و ٢١١، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ١٠٥، ولسانيّات النص؛ محمد خطابي: ١١، وفي البلاغة العربية؛ سعد مصلوح: ٢٢٦، ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ٧٥، وعلم اللُّغة النَّصِّيّ؛ صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ٢٨- ٢٩، ونحو النَّصّ؛ أحمد محمد عبد الراضي: ٨٢.

(٣٦) مدخل إلى علم النَّصّ: ٦٠.

(٣٧) المصدر نفسه: ٨٥.

(٣٨) المصدر نفسه: ٨٤.

(٣٩) لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٥. وينظر: مدخل إلى التحليل اللساني؛ نعمان بوقرة: ٥٧.

(٤٠) دراسات لغوية تطبيقيَّة في العلاقة بين البينة والدلالة: ٦٩- ٧٠. وينظر: لسانيات النص؛ كيرستن آدمتسيك: ٦٨، واتجاهات لغوية معاصرة؛ سعيد حسن بحيري: ١٣٧، وعلم لغة النص؛ نحو آفاق جديدة؛ سعيد حسن بحيري: ٩- ١٠، و٤٨. ونسيج النَّص؛ الأزهر الزَّنَّاد: ١٢- ١٣.

(٤١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٨٤- ٨٥، و٣٠٠.

(٤٢) نحو النَّصّ: ٧٧– ٧٨. وينظر: اللغة بين الثابت والمتغيّر؛ أحمد عفيفي: ٢١.

(٤٣) اتجاهات لغوية معاصرة؛ سعيد حسن بحيري: ١٣٤.

(٤٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٤.

(٤٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٦.

(٤٦) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٨٦.

تنسجم إجراءات "فان دايك" مع دي بوجراند في الأصول الثلاثيَّة هذه، على نحو من قراءة نظرية الاتصال/التواصليَّة، وهي قراءة تنطق من أصول مجردة إلى تفاعلية مستعملة باللغة والإنشاء، وهذا ما حدَّده "فان دايك" نفسه من نقْد للمستوى **النَّحويّ الصوري والدَّلاليّ** دون النَّظر إلى المستوى الثالث، وهو المستوى **التَّداوليّ** الفاعل في **نظرية الاستعمال**، ليكوّن بذلك مشروعية عمل في كتابه: "النَّص والسِّياق" على ثلاث مسلّمات، يقول: "إنَّ ما نريد أن نشرع فيه هنا من بحث واستكشاف إنَّما يتأسس على قضيتين مسلمتين تتعلقان بالنظريَّة اللسانيَّة بوجه عام، وبميدان النَّحو وإمكانيته بوجه خاصّ ممّا له اتصال وثيق بتلك المشاكل. وتدعي المسلَّمة الأولى أنَّ البناء النظري للعبارات على المستويين الصوري والدلالي ينبغي أن يكمل ويتممّ بالمستوى الثالث، أعني: بمستوى فعل الكلام. وذلك أنَّ كلّ عبارة متلفظ بها ينبغي ألا توصف فقط من وجهة تركيبها الداخلي والمعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التام الإنجاز المؤدِّي إلى إنتاج تلك العبارة. ووصف هذا المستوى التداولي من هذا القبيل هو الذي يهيئ شروطاً حاسمة لغاية إنشاء وتركيب جزء من ضروب التَّواضع والاتفاق ممَّا يجعل العبارات مقبولة، أعني: أن يصير تركيبها مناسباً لمقتضى الحال بالنظر إلى السِّياق التَّواصليّ". النص والسياق: ١٨– ١٩.

(٤٧) النص والخطاب والإجراء: ٨٦– ٨٧.

(٤٨) المصدر نفسه: ٨٦.

(٤٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣– ١٠٥. ومدخل إلى علم لغة النَّصّ؛ دي بوجراند، ودريسلر: ١١– ١٢.

أقول: تشابه معايير "دي بوجراند"، ما أقترحه "أيزنبرج" من معايير في التّحليل النَّصِّي في ضوء المنهج التّواصلي، يقول زتسيسلاف واورزنياك: يقترح أيزنبرج... قائمة كاملة نسبياً لمفاهيم التّوجيه بالنسبة لنظريَّة نصِّيَّة لغويَّة مؤسّسة على تحليل التّواصل، وهي: ١ـ الشّرعيَّة الاجتماعيَّة، ٢ـ الوظيفة التَّواصليَّة، ٣ـ الدَّلاليَّة، ٤ـ الموفقيَّة، ٥ـ المقصديَّة، ٦ـ جودة السّبك، ٧. كمال الحبك، ٨. النَّحويَّة". مدخل إلى علم النص: ٣٠– ٣١.

(٥٠) النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.

(٥١) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٥٢) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٥٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٦– ١٠٧.

(٥٤) ينظر: في البلاغة العربية: ٢٢٦.

(٥٥) علم اللغة النصي: ١/ ٢٨– ٢٩. الترقيم من عندي.

(٥٦) المصدر نفسه: ١/ ٢٩.

(٥٧) أصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ١٠٦.

(٥٨) النص والخطاب والإجراء: ٨٥– ٨٦.

(٥٩) المصدر نفسه: ٨٦- ٨٧.

(٦٠) علم اللغة النصي؛ صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ٩٦.

(٦١) اللغة بين الثابت والمتغيّر: ٢١، وينظر: نحو النص؛ أحمد عفيفي: ٩٥.

(٦٢) المصدر نفسه: ٢١. وينظر: علم اللغة النصي: ١/ ٩٧، ونحو النص؛ أحمد محمد عبد الراضي: ١٢٤.

(٦٣) مدخل إلى علم لغة النص؛ فولفجانج هاينه مان: ٣٤.

(٦٤) المصدر نفسه: ٣٣.

(٦٥) المصدر نفسه: ٣٣.

(٦٦) أسس علم لغة النص: ١٣٢.

(٦٧) المصدر نفسه: ١٣٤.

(٦٨) المصدر نفسه: ١٧١.

(٦٩) ينظر: لسانيّات النَّصّ؛ محمد خطابي: ٢٤. وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ١٤٢.

(٧٠) علم لغة النص؛ عزة شبل محمد: ١٠٥.

(٧١) نظرية علم النص؛ حسام أحمد فرج: ١٠٦.

(٧٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣٠١، و٣٠٣، و"مدخل أولي إلى علم النَّصّ". بضمن: النَّظرية والنَّصّ؛ كيبيدي فارغا: ٧٣، والتحليل اللغوي للنص؛ كلاو برينكر: ٣٩، ولسانيّات النَّصّ؛ محمد خطابي: ٢٤، ونسيج النص؛ الأزهر الزَّنّاد: ١١٩، وعلم اللغة النصي؛ مصطفى صلاح قطب: ١٩١، ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ١٠٦، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ١٣٨، و١٤٢، وعلم اللُّغة النَّصِّيّ؛ صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ١٧، وعلم لغة النَّصّ؛ عزة شبل محمد: ١٠٥، والأنساق المعجميَّة: ٣٩.

(٧٣) ينظر: الدلالة والنحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٣٦.

(٧٤) ينظر: نسيج النص؛ الأزهر الزناد: ١١٩.

(٧٥) التحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٣٩. وينظر: المصدر نفسه: ٤٧، والنص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣٠٣.

(٧٦) لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢٤.

(٧٧) ينظر: نحو النص؛ أحمد عفيفي: ١٠٦- ١٠٧.

(٧٨) المصباح: ٥٣٧.

(٧٩) المصدر نفسه: ٥٣٧- ٥٣٨.

(٨٠) المصدر نفسه: ٥٤١.

(٨١) المصدر نفسه: ٥٣٩- ٥٤٠.

(٨٢) المصدر نفسه: ٥٤١.

(٨٣) المصدر نفسه: ٥٣٧. **الترقيم منّي**.

(٨٤) المصدر نفسه: ٥٣٧- ٥٣٠.

(٨٥) المصدر نفسه: ٥٣٩- ٥٤٠.

(٨٦) نحو النص؛ أحمد عفيفي: ١٠٧.

(٨٧) علم لغة النص؛ عزة شبل: ١٠٦.

(٨٨) المصباح: ٥٣٧.

(٨٩) المصدر نفسه: ٥٣٨.

(٩٠) المصدر نفسه: ٥٤٠– ٥٤١.

(٩١) ينظر: نحو النص؛ أحمد عفيفي: ١٠٩، ونظرية علم النص؛ حسام أحمد فرج: ١٠٩.

(٩٢) المصباح: ٥٣٧.

(٩٣) المصدر نفسه: ٥٣٨– ٥٣٩.

(٩٤) المصدر نفسه: ٥٤٠.

(٩٥) المصدر نفسه: ٥٤٠– ٥٤١.

(٩٦) ينظر: علم الدلالة؛ أحمد مختار عمر: ٩٩.

(٩٧) المصباح: ٥٣٧.

(٩٨) المصدر نفسه: ٥٤٠.

(٩٩) المصدر نفسه: ٥٤١.

(١٠٠) ينظر: لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢٥، وعلم لغة النص؛ عزة شبل محمد: ١٠٨.

(١٠١) المصباح: ٥٤٠.

(١٠٢) المصدر نفسه: ٥٣٨.

(١٠٣) المصباح: ٥٣٧.

(١٠٤) نحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ١١١.

(١٠٥) المصدر نفسه: ١١١– ١١٢. وينظر: نظرية علم النص؛ حسام أحمد فرج: ١٠٠.

(١٠٦) لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢٥، وينظر: نحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ١١٢، والأنساق المعجميَّة: ٤٢.

(١٠٧) ينظر: لسانيّات النَّصّ؛ محمد خطابي: ٢٥، ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ١١٢– ١١٤، وعلم لغة النَّصّ؛ عزة شبل محمد: ١٠٩– ١١٠.

(١٠٨) ينظر: لسانيات النص محمد خطابي: ٢٥، وعلم لغة النَّص؛ عزة شبل محمد: ١٠٩.

(١٠٩) النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ١١٣.

(١١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١١٤.

(١١١) علم لغة النص؛ عزة شبل محمد: ١٠٩. وينظر: نظرية علم النص؛ حسام أحمد فرج: ١١٥.

(١١٢) التحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٦٠.

(١١٣) لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٣٧.

(١١٤) المصباح: ٥٣٧.

(١١٥) المصدر نفسه: ٥٣٨.

(١١٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(١١٧) نحو النص؛ أحمد عفيفي: ١١٣. وينظر: علم الدلالة؛ أحمد مختار عمر: ١٠٢.

(١١٨) نحو النص؛ أحمد عفيفي: ١١٣– ١١٤.

(١١٩) المصباح: ٥٣٧.

(١٢٠) المصدر نفسه: ٥٣٧– ٥٣٩.

(١٢١) المصدر نفسه: ٥٤٠.

(١٢٢) المصدر نفسه: ٥٤١.

(١٢٣) المصدر نفسه: ٥٣٧.

(١٢٤) المصدر نفسه: ٥٣٧– ٥٣٩.

(١٢٥) المصدر نفسه: ٥٤٠.

(١٢٦) المصدر نفسه: ٥٣٩– ٥٤٠.

(١٢٧) المصدر نفسه: ٥٤١.

(١٢٨) المصدر نفسه: ٥٤١.

(١٢٩) المصدر نفسه: ٥٣٧.

(١٣٠) شرح الكافية البديعيَّة؛ الحِلِّيّ: ٢٢٦، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية؛ أحمد مطلوب: ١٣.

(١٣١) المصباح: ٥٣٧.

(١٣٢) مدخل إلى علم لغة النص؛ فولفجانج هاينه مان: ٣٣.

(١٣٣) أسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١٢٠.

(١٣٤) علم النص: ٤١.

(١٣٥) المصدر نفسه: ٤١. وينظر: النَّصّ والسِّياق؛ فان دايك: ٧١، و٨٢.

(١٣٦) التحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٢٠٩، وينظر: المصدر نفسه: ٣٩، و١٩١. ولسانيات النص؛ كيرستن آدمتسيك: ٣٢، و٢٨٩.

(١٣٧) ينظر: النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣٠١، و٣٢٠، و٣٣٢، و٣٤٠، ومدخل إلى علم النص؛ زتسيسلاف واورزنياك: ٦١، و٩٥، و١٤١، ولسانيات النص؛ محمد خطابي: ١٦– ٢٥، وعلم اللغة النصي؛ مصطفى صلاح قطب: ١٧٩، ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ١١٤، و١١٦، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ١٢٥، والدلالة والنحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٤٨، و٢٥٣، و٢٥٨، ونظرية علم النص؛ حسام أحمد فرج: ٨٣، وعلم لغة النص؛ عزة شبل محمد: ١١٠.

(١٣٨) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٠.

(١٣٩) نسيج النص؛ الأزهر الزناد: ١١٨، ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ١١٦، والتحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٤٧، والقاموس الموسوعي للتداولية؛ جاك موشلر: ٣٨٧.

(١٤٠) النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣٢٠.

(١٤١) ينظر: النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣٠١، ولسانيات النَّص؛ محمد خطابي: ١٧، ونسيج النص؛ الأزهر الزَّنَّاد: ١١٨، ونحو النَّصّ؛ أحمد عفيفي: ١١٧، والدَّلالة والنَّحو؛ صلاح الدين صالح حسنين: ٢٤٨، وأصول تحليل الخطاب؛ محمد الشاوش: ١/ ١٢٥.

(١٤٢) المصباح: ٥٣٧– ٥٣٨.

(١٤٣) المصدر نفسه: ٥٤٠.

(١٤٤) المصدر نفسه: ٥٣٧.

(١٤٥) المصدر نفسه: ٥٤١.

(١٤٦) النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٢٩٩.

(١٤٧) المصدر نفسه: ٥٤١.

(١٤٨) المصدر نفسه: ٥٣٧.

(١٤٩) المصدر نفسه: ٥٣٩– ٥٤٠.

(١٥٠) المصدر نفسه: ٥٣٧.

(١٥١) المصدر نفسه: ٥٣٨.

(١٥٢) المصدر نفسه: ٥٤٠.

(١٥٣) المصدر نفس: ٥٣٧– ٥٣٨.

(١٥٤) النَّص والخطاب والإجراء: ٣١٠.

(١٥٥) المصباح: ٥٤٠.

(١٥٦) المصدر نفسه: ٥٤١.

(١٥٧) المصدر نفسه: ٥٣٨– ٥٤١.

(١٥٨) المصدر نفسه: ٥٤١.

(١٥٩) ينظر: النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣١٠.

(١٦٠) المصدر نفسه: ٣١٩.

(١٦١) ينظر: الجنى الداني؛ المرادي: ١٩٣، وشرح شذور الذهب؛ ابن هشام الأنصاري: ١٤٩، وشرح التصريح؛ الأزهري: ١/ ١٨٠، وهمع الهوامع؛ السيوطي: ١/ ٣٠٩.

(١٦٢) المصباح: ٥٣٧.

(١٦٣) المصدر نفسه: ٥٣٧.

(١٦٤) المصدر نفسه: ٥٣٧– ٥٤٠.

(١٦٥) ينظر: لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢١.

(١٦٦) ينظر: علم لغة النص؛ عزة شبل محمد: ١١٦، وعلم اللغة النصي؛ صبحي إبراهيم الفقي: ٢/ ١٩٢.

(١٦٧) ينظر: النَّصّ والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٣٤٢.

(١٦٨) ينظر: نحو النص؛ أحمد عفيفي: ١٢٧.

(١٦٩) المصباح: ٥٣٧.

(١٧٠) المصدر نفسه: ٥٤٠.
(١٧١) شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٠٨.
(١٧٢) المصباح: ٥٤٠.
(١٧٣) المصدر نفسه: ٥٤٠.
(١٧٤) المصدر نفسه: ٥٤٠.
(١٧٥) النص والخطاب والإجراء: ٣٤٦.
(١٧٦) المصدر نفسه: ٣٠١- ٣٠٢.
(١٧٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٦.
(١٧٨) ينظر: النص والسياق: ٧٤، و٨٢.
(١٧٩) لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢٤.
(١٨٠) المصدر نفسه: ٢٣.
(١٨١) المصدر نفسه: ٢٣.
(١٨٢) ينظر: النص والسياق؛ فان دايك: ٨٣، ولسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢٣، وعلم اللغة النصي؛ صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ٢٥٩، وعلم لغة النص؛ عزة شبل محمد: ١١١.
(١٨٣) المصباح: ٥٣٧.
(١٨٤) المصدر نفسه: ٥٤٠.
(١٨٥) ينظر: علم اللغة النصي؛ صبحي إبراهيم الفقي: ١/ ٢٤٧، و ٢٥٧.
(١٨٦) المصباح: ٥٣٧.
(١٨٧) المصدر نفسه: ٥٣٩- ٥٤٠.
(١٨٨) المصدر نفسه: ٥٣٩- ٥٤٠.
(١٨٩) المصدر نفسه: ٥٤٠.
(١٩٠) المصدر نفسه: ٥٣٨.
(١٩١) المصدر نفسه: ٥٤١.
(١٩٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٩٢.
(١٩٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٣، و١١٥، و٢٠١
(١٩٤) مدخل إلى علم لغة النص: ١٢٠.
(١٩٥) النص والخطاب والإجراء: ١١٥.
(١٩٦) ينظر: المصدر نفسه: ١١٥.
(١٩٧) ينظر: النص والسياق؛ فان دايك: ٧٧، و٩٠، و١٠٣، و١١٥، و١٢٨، و١٥٠، وعلم النص؛ فان دايك: ٦٩، و٧٣، و٧٨، و٢٩٠، والنص والخطاب والإجراء؛ دي بوجراند: ٨٥، و١٠٣، و١٧١، و١٨١، و٢٠١، و٣٤٦، والتحليل اللغوي للنص؛ كلاوس برينكر: ٩١، وأسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١٢٧، والعلاماتيَّة وعلم النّص، مجموعة بحوث مترجمة، منذر عيَّاشي: ١١٢، ولسانيات النص؛ محمد خطابي: ٣٨، ونحو النص؛ أحمد عفيفي: ٩٨، وعلم اللغة

النصي؛ صبحي إبراهيم الفقي: ٢/ ١٣٧، ونظرية علم النص؛ حسام أحمد فرج: ٩٥، و١٢٨، وعلم لغة النص؛ عزة شبل محمد: ١١٢.

(١٩٨) أسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١٢٨.

(١٩٩) النص والسياق؛ فان دايك: ١٣٧. وينظر: علم النص؛ فان دايك: ٧١.

(٢٠٠) لسانيات النص؛ محمد خطابي: ٢٣.

(٢٠١) المصباح: ٥٣٧.

(٢٠٢) المصدر نفسه: ٥٣٩- ٥٤٠.

(٢٠٣) المصدر نفسه: ٥٤٠.

(٢٠٤) المصدر نفسه: ٥٣٧.

(٢٠٥) ينظر: النَّص والسِّياق؛ فان دايك: ١٨٥، و"مدخل أولي إلى علم النَّص"؛ فان دايك، بضمن النظرية والنص؛ كيبيدي فارغا: ٧٦، والتحليل اللُّغويّ للنّص؛ كلاوس برينكر: ٧٤، و٨٠، وأسس علم لغة النص؛ مرجوت هاينه مان: ١٣٥، وتحليل الخطاب؛ براون: ٨٣، ولسانيات النص؛ كيرستن آدمتسيك: ٢٥١، وتفسير النَّصّ؛ ديتريش بُوسِّه: ١٣٢.

(٢٠٦) علم النص؛ فان دايك: ٢٩٠.

(٢٠٧) المصدر نفسه: ٢٩١.

(٢٠٨) المصدر نفسه: ٧٩- ٨٠.

(٢٠٩) ينظر: المصدر نفسه: ٨١. و٢٩١. و"مدخل أولي إلى علم النَّص"؛ فان دايك، بضمن النظرية والنص؛ كيبيدي فارغا: ٧٨.

(٢١٠) ينظر: علم النص؛ فان دايك: ٧٩.

(٢١١) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.